حملات النورمان على المغرب الأدنى
وموقف الموحدين منها
(٥٤٣-٥٥٥هـ / ١١٤٨-١١٦٠م)

دكتور

شوقي محمد يوسف حسن شحاته

مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية بقسم التاريخ

في كلية اللغة العربية

فرع جامعة الأزهر بإيتاي البارود

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث

الحمد لله على أنعمه التي لا تحصى، وآلائه التي لا تعد، وأفضاله التي عمت الكون ، ورحمته التي وسعت كل شيء، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

ـ وبعد ـ

فلقد انتشر الإسلام في المغرب الأدني، وانتشرت، معه اللغة العربيـــة، وأحسن العرب الغالبون معاملة بربر إفريقية المغاربين، وتعاون العنصـــران معافي خلق شخصية جديدة لهذا القطر.

ويتميز المغرب الأدني بتاريخه العريق الذي يدل على حيويـــة هـــذا القطر فقد مر في ظل الإسلام بعدة أحوال ، فمن ولاية إسلامية تابعة لولاية مصر زمن الأمويين، إلى ولاية ذات شخصية مستقلة تتبـــع خليفـــة دمشـــق مباشرة، ثم أعقب ذلك فترة اضطراب نتيجة انتقـــال الحكم في المشرق مـــن الأمويين إلى العباسيين، ولبعد المغرب الأدني عن مركز الخلافة العباسية في بغداد، هرب إليه بعض أمراء بني أمية، كما تمكن الخوارج من تأسيس دولة الرستمين إلى الغرب قليلا من إفريقية، كذلك وجد العلويون فـــي المغـــرب الأدني وبقية الشمال الإفريقي المرتع الخصب البعيد لنشر أفكارهم.

وفي الوقت نفسه خاف العباسيون من امتداد هذه الفوضى إلى المشرق الإسلامي ، فوافقوا على قيام دولة الأغالبة لتكون بمثابة حاجز منيـــع بـــين المغرب المضطرب والمشرق الذي دان للعباسيين بالولاء. وقد اســـتطاعت

هذه الدولة أن تغزو صقلية وجنوب إيطاليا وكانت لها قوة بحرية في وسط وغرب البحر المتوسط.

وقد عرف المغرب الأدني الدعوة الفاطمية منذ بدايتها، وبعد رحيل الفاطميين إلى مصر تضاءل شأن إفريقية من قاعدة خلافة إلى ولاية تابعة، ولكن لصعوبة حكم إفريقية حكما مباشرا من القاهرة، منح الفاطميون إفريقية حكما ذاتيا، فظهرت في المغرب الأدني دولة بني زيرى الصنهاجية وفي عهد هذه الدولة كان المغرب الأدني مسرحا للعرب الهلالية والنورمان وتصارعت هذه القوى على النفوذ في المغرب الأدني، وامتد هذا الصراع وتشعب إلي أن جاء الموحدون .

وقد تناولت في هذا البحث الذي هو بعنوان: "حملات النورمان على المغرب الأدني وموقف الموحدين منها" الوضع الجغرافي لبلاد المغرب ثم تحدثت عن النورمان وقدومهم إلى المغرب الأدني حتى تمكنوا من الاستيلاء على المهدية ومعظم بلاده ، ثم تحدثت عن أحواله قبيل قدوم الموحدين ثم ختمته بالحديث عن دور الموحدين في التصدي للنورمان ورد هذا القطر إلى صولة الإسلام ، وموقف الخليفة عبد المؤمن بن على من العرب الهلالية في المغرب الأدنى.

وإني لارجو أن يكون ما بذل فيه من جهد خالصا لوجهه تعالى وأن ينفع به وتعم به الفائدة،

وهو حسبي ونعم الوكيل وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

دكتور

شوقى محمد يوسف حسن شحاته

الوضع الجغرافي لبلاد المغرب الإسلامي:

المراد بلفظ المغرب هو ما يقابل المشرق من بلاد الإسلام، وقد اتفق المؤرخون على تحديد كلمة مغرب بالأراضي الإسلامية الممتدة غربي مصر إلى المحيط الأطلسي([١]).

وقد اصطلح المؤرخون على تقسيم بلاد المغرب في العصور الوسطى إلى ثلاثة أقسام، وذلك بحسب قربها أو بعدما من مركز الخلافة في المشرق وهي:

١- **المغرب الأدني:** ويسمى أيضاً إفريقية، وكان يشمل جمهورية تونس الحالية، وبعض الأجزاء الشرقية من الجزائر ([٢])٠ وكانت عاصمته مدينة القيروان([٣]) أيام حكم الأغالبة ، ثم

([١])العبادى: في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية ، بدون تاريخ ص١٢ ٠

([٢])العبادى: المرجع السابق، ص١٢

([٣])القيروان: مدينة من أعظم مدن المغرب، تشبه قرطبة، بينها وبين تونس مرحلتان، أسسها عقبة بن نافع سنة ٥٠هـ/٦٧٠م، وهي مدينتان إحداهما القيروان والثانية صبره، وكانت عاصمة للمغرب الأدني أيام الأغالبة، ولما بنى عبيد الله المهدى المهدية تركها وانتقل إلى المهدية، انظر: البكرى: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد، بدون تاريخ، ص٢٤، الإدريسى: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٤م، ج١، ص٢٨٤، مجهول: الاستبصار في عجائب الإبصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشئون الثقافية (آفاق عربية)، بغداد ١٩٨٦م ص١١٣، ١١٤، ١١٥، الحميرى: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان ، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م،ص٤٨٦، ٤٨٧.

المهدية (١) أيام حكم الفاطميين، ثم مدينة تونس منذ عهد الحفصيين إلى اليوم(٢)، وتمتد حدودها إلى برقه إلى حدود الديار المصرية، ويقابلها صقلية ولا يعدي منها إلى الأندلس فليست من بر العدوة(٣)٠ غير أن ابن حوقل يعتبر إفريقية من بر العدوة، لأن تونس يَعدُ منها إلى الأندلس، وهي من إفريقية، فتكون من بر العدوة(٤) ، واسم إفريقية كلمة معربة عن إفريقيا ذلك الاسم الذي كان الرومان القدامى يطلقونه على ذات المنطقة(٥) ٠

٢- **المغرب الأوسط:** ويشمل بلاد الجزائر(٦) ، ويمتد من وادي مجمع(٧) شرقاً إلى أول بلاد تازا من بلاد المغرب الأقصى غربا، ويمتد من البحر

---

(١)المهدية: مدينة صغيرة بينها وبين القيروان ستون ميلا، والبحر يحيط بها من جميع جهاتها إلا من الجانب الغربي، وقد بناها عبيد الله المهدى سنة ٣٠٠هـ/٩١٩م، وأسماها المهدية نسبة إليه، ثم انتقل إليها من القيروان، وقد كانت المهدية مدينتين إحداهما المهدية ويسكنها السلطان وجنوده، والثانية زويلة ويسكنها عامة الناس، وبها أسواق وحمامات ولها بابان من حديد لا خشب فيهما، ولها مرسى للمراكب يعتبر من عجائب الدنيا يسع ثلاثين مركبا، لمزيد من التفاصيل أنظر: الحميرى: مصدر سابق، ص١١٠ ، ٥٦٢، الإدريسى مصدر سابق، ج١، ص٢٨١، ٢٨٢، مجهول: مصدر سابق، ص١١٧، ١١٨٠

(٢)الحميرى: المصدر السابق، ص١٤٣، العبادى: مرجع سابق، ص١٢ ٠

(٣)أبو الفداء: تقويم البلدان (دار صادر، بيروت، بدون تاريخ) ص١٢٢ ٠

(٤)ابن حوقل: صورة الأرض، (دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون تاريخ) ص٧٦ ٠

(٥)صابر دياب:دراسات في عالم البحر المتوسط في العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصرية، عدد٢٤ ، ١٩٧٧، ص٩٣، هامش١٣ ٠

(٦)العبادي: مرجع سابق ص١٣.

(٧)وادي مجمع :وادي في منتصف الطريق بين مدينة مليانة ومدينة تلمسان، انظر: مجهول: مصدر سابق، ص١٧٦، الحميرى: مصدر سابق ص١٣٥ ٠

المتوسط شمالاً، إلى مدينة سول(١) وهي مدينة في أول الصحراء على الطريق إلى سجلماسة (٢) جنوبا وكانت عاصمته مدينة تاهرت (٣) في عهد الدولة الرستمية، ثم مدينة أشير(٤) في أيام الدولة الزيرية الصنهاجية، ثم انتقلت العاصمة إلى مدينة تلمسان(٥) غربا أيام دولة بني عبد الواد أو بني زيان في القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى،

---

(١)يسميها صاحب الاستبصار تنزل بينما يسميها البكري يزيل، انظر: مجهول: المصدر السابق، ص١٧٦، البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص٧٧ .

(٢)الحميرى: المصدر السابق، ص١٣٥، مجهول: مصدرسابق، ص١٧٦، وسجلماسة: مدينة في جنوب المغرب الأقصى، بينها وبين البحر خمس عشرة مرحلة، وبينها وبين غانة مسيرة شهرين في رمال وجبال قلبة المياة، ومعظم زراعتهم الدخن والذرة، ولهم الكثير من النخل، انظر: الحميرى: المصدر السابق، ص٣٠٥، ياقوت: معجم البلدان،دار التراث العربي، بيروت، لبنان ١٩٥٦م- ١٩٥٧م، ج٣، ص١٩٢، اليعقوبي: كتاب البلدان، دار صادر ، بيروت، ١٨٩٣م، ص٣٥٩ .

(٣)تاهرت:مدينة مشهورة بالمغرب الأوسط، بناها عبد الرحمن بن رستم سنة ١٦٤هـ/٧٨١م وتقع بين تلمسان وقلعة بني حماد، على سطح جبل ، ولها نهر يأتيها من الغرب وآخر يجرى من العيون، وهي كثيرة البساتين والثمار، وتتميز ببردها الشديد، مجهول المصدر سابق، ص١٧٨، الحميرى: المصدر السابق، ص١٢٦، ١٢٧ .

(٤)أشير:مدينة حصينة بي جبال البربر، في طرف إفريقية مقابل بجاية في البر، تعرف بأشير زيرى، بناها زيرى بن مناد سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م انظر: الحميرى: المصدر السابق، ص٦٠، ياقوت: المصدر السابق، ج١، ص٢٠٢، ٢٠٣ .

(٥) تلمسان: مدينة قديمة عظيمة بالمغرب الأوسط بينها وبين وهران مرحلتان، وهي على سفح جبل، يكثر بها الجوز، وبها ماء مجلوب من العيون، ولها نهر كبير يسمى سطيف ، وهي كثيرة الخصب رخيصة الأسعار كثيرة الخيرات، ولها قرى كثيرة وعمائر متصلة، انظر: الحميرى: مصدر سابق، ص١٣٥، مجهول: مصدر سابق، ص١٧٦ .

وأخيراً صارت جزائر بني مزغنة(١) وهي مدينة الجزائر الحالية هي العاصمة حتى اليوم(٢).

٣- **المغرب الأقصى:** ويشمل المغرب الأقصى الأراضي الواقعة بين وادي ملوية وجبال تازا شرقا حتى المحيط الأطلسي غربا، وبين البحر المتوسط شمالاً وجبال درن جنوباً، وقد سمى بهذا الاسم لأنه أبعد أقسام المغرب الثلاثة عن دار الخلافة في المشرق (٣) .

١- ظهور النورمان في جنوب إيطاليا:

في خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، تعرضت إيطاليا لهجمات النورمان(٤) القادمين من شمال غرب أوربا، إذ عبرت جبال

---

(١)جزائر بني مزغنة: مدينة قديمة على ضفة البحر، بينها وبين بجاية أربعة أيام، وهي كبيرة واسعة على غاية ما تكون المدن، كثيرة الخصب والقرى والعمائر تشقها أنهار، وبها آثار قديمة وابنية عجيبة. انظر: ياقوت: مصدر سابق، ج٢، ص١٣٢،مجهول: مصدر سابق، ص١٣٢، الاصطخرى: المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٣٨١هـ/١٩٦١م، ص٣٤، البغدادى: مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق محمد على البجاوى، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط١، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م، ج١، ص٣٣٠ .

(٢)العبادى: مرجع سابق ص١٣ .

(٣)ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب اللبناني، ومكتبة المدرسة ١٩٨٣م ج٦،ص٢٠١، السلاوى: الاستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى، نشر في ثلاثة أجزاء بدون تاريخ ج١، ص٣٤، أبو الفداء، مصدر سابق، ص١٢٢، مجهول: مصدر سابق، ص١٧٩، صابر دياب: بلاد المغرب في القرن الأول الهجري، الفيوم ط٢، ٢٠٠٠م ص٤ .

(٤)النورمان: وقد تسمى النورمان بأسماء عديدة منها الفيكنح والشماليون لأنهم كانوا يعيشون في شبه جزيرة اسكندناوة التي تشمل الدينمارك ثم السويد والنرويج وفلندا أيضا ثم شواطئ ألمانيا الشمالية، وتطلق عليهم الروايات الإسلامية اسم المجوس لأنه كان من عاداتهم أن يشعلوا النار لإرهاب أعدائهم، وإلقاء الرعب في قلوبهم، لذا حسبهم المسلمون مجوسا.انظر: ابن=

الألب جماعات من المغامرين الإقطاعين من نورماندیا وفرنسا إلى إيطاليـــا، كما عبرت جبال البرانس إلى إسبانيا جماعات أخرى كلها شوق إلى النهـــب والسلب على حساب القوى البيزنطية والإسلامية،وهذه الجماعات المغـــامرة هي ما يعرف في التاريخ باسم النورمان أو الفيكنج (١) .

وكان ظهور النورمان في جنوب إيطاليا منذ سنة ٤٠٧هـــ/١٠١٦م، إلا أن وجودهم ازداد نشاطا بعد سنة ٤٣٥هـــ/١٠٤٣م، وذلك بعـــد انتقـــال الزعامة إلى "روبرت جسكارد" على حســـاب أمـــراء إيطاليـــا المحليـــين، واعتراف البابا به سنة ٤٥١هـــ/١٠٥٩م، وسرعان مـــا اعتنـــق النورمـــان المسيحية على المذهب الكاثوليكي، واستطاع البابا أن يوجههم لقتال العـــرب في جنوب إيطاليا وجزيرة صقلية، وكان هدف البابا من وراء ذلك هو توجيه النورمان نحو الجنوب ، فيمتنعوا عن إنزال الفوضى بوسط وشمال إيطاليا، وأيضا لرغبة البابا في طرد المسلمين من الجنوب، واستطاع النورمـــان أن يقضوا على الإمارات الإسلامية بجنوب إيطاليا وسواحل الإدرياتيك.(٢)

= جبير: رحلة ابن جبير(دار الكتاب اللبناني، بدون تاريخ)، ص١٦، ابن القوطيـــة: تاريخ افتتاح الأندلس، (تحقيق إبراهيم الإبيارى دار الكتاب المصري اللبنـــاني، ط١، ١٩٨٢م)، ص٧٨، ٧٩ ، أحمد إبراهيم الشعراوى: الأمويون أمراء الأنـــدلس الأول، (دار النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٩م)، ص٣١٠، ٣١٦، جورج مارســـيه: بـــلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق، (ترجمة محمود هيكل، منشأة المعـــارف، الإســـكندرية ١٩٩١م) ، ص٣٤٧، حسين مؤنس : غارات النورمان علـــى الأنـــدلس، (المجلـــة التاريخية، مجلد٢، عدد١، ١٩٤٩م)، ص٢٤

(١) ارشيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة أحمـــد محمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، بدون تاريخ، ص٢٩٤

(٢) ارشيبالد لويس: مرجع سابق، ص٢٩٤

ومنذ سنة ٤٥٣هـ/١٠٦١م بدأت أنظار النورمان تتجه نحو صقلية فنزلوا أرضها(١) ، ثم ما لبثت مدن صقلية الواحدة تلو الأخرى تسقط في أيديهم حتى دانت لهم الجزيرة بأثرها سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م(٢) ، وفي الوقت الذي كان النورمان يحاولون انتزاع السيطرة البحرية والتجارية من أيدي المسلمين، والإغارة على مدنهم، كان المسلمون مشتغلين بما داهم البلاد من غارات بني هلال(٣) وانسحابهم من الميدان الصقلي سنة ٤٦١هـ/١٠٦٨م بعد اختلافهم مع أهلها الذين لم يحتملوا الحياة مع بربر إفريقية الذين وصلوا إلى صقلية لمساعدتها ضد الغزو النورماني(٤) .

ومنذ استيلاء النورمان على جزيرة صقلية أصبحت لهم السيادة البحرية والسيطرة على مياه البحر المتوسط الغربي، كما تحكموا في المضايق الحيوية التي تقع بين إفريقية وصقلية، ومن صقلية بدأ النورمان يتطلعون إلى إفريقية نفسها، منتهزين كثرة التنازع ومزاحمة الغزاة والحكام من العرب وغيرهم بتلك الأقطار، فأغارت أساطيلهم على المواقع الساحلية فيما بين المهدية وطرابلس الغرب، وتملكوا عدة ثغور، ثم ملكوا بعد ذلك

---

(١) الإدريسى: مصدر سابق، ج٢، ص٥٨٩

(٢)ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٣م، ج٧، ص١٩٨، النويرى: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق حسين نصار، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٣م، ج٢٤، ص٢٨٣

(٣)ابن خلدون : مصدر سابق، ج٦، ص٣٢٥، ٣٢٦، كلود كاهن : تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، دار الحقيقة، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م ص١٩١ .

(٤)النويرى: مصدر سابق، ج٢٤، ص٣٨٢، اومبرتورتنسينانو: النورمنديون وبنو زيرى، (مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة مجلد١١، ج١، ١٩٤٩م) ص١٧٨ .

المهدية سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م، وكان لقرب صقلية من سواحل إفريقية أثـــر كبير في ذلك الأمر(١). وسوف تتناول هذا بالتفصيل فيما بعد..

أحوال المغرب الأدني قبيل قدوم النورمان:

قبل أن تطرق جيوش النورمان المغرب الأدنى ، كانت هناك قوى تتصارع على السيادة فيه ، وهي قوة بني زيرى والعرب الهلالية وكان الصراع بينهما شديدا خلال الفترة التي سبقت قدوم النورمان وعلى هذا فالحديث عن هذه القوى وصراعها قبيل مجئ النورمان أمر ضروري لفهم تلك الفترة التي نحن بصددها.

١- بنو زيري في المغرب الأدني:

كانت قبيلة كتامة هي النواة الأولى والدعامة الأساسية التي اعتمد عليها الفاطميون في إقامة خلافتهم (٢) وقد أظهر بنو زيري زعماء صنهاجة ارتياحهم لقيام الدولة الجديدة، كما أظهروا كياسة ولباقة في التعامل معها، وخاصة حينما آثروا الاستمرار في سياسة تجنب، الاصطدام معها، حتى يحتفظوا بقوتهم إلى أن يحين الوقت المناسب لذلك، فالدعوة الفاطمية في بلاد المغرب، نشأت بين ظهراني كتامة وجبالها، وانتشرت بفضل سواعد رجالها، وأصبحت بذلك كتامة هي الدعامة القوية التي ترتكز عليها الخلافة الفاطمية الناشئة وعصبتها وسر قوتها(٣).

---

(١)الحميرى: مصدر سابق، ص٥٦٢، السلاوى: مصدر سابق، ج١، ص١٥٤

(٢)ابن خلدون: مصدر سابق، ج٤، ص٦٦، ابن عذارى: البيـــان المغـــرب فـــي إحيـــاء الأندلس والمغرب، تحقيق ج- س كولان - بيروت - لبنـــان ، ط٢، ١٩٨٠م، ج٢، ١٢٤، ١٢٥ .

(٣)ابن خلدون: مصدر سابق، ج٤، ص٦٧، ٦٨ .

وقد أدرك بنو زيرى هذه الحقيقة ، وبدلا من أن ينطووا على أنفسهم ويقفوا من الفاطميين موقفا عدائيا، أخذوا يتقربون منهم شيئا فشيئا، ليحلوا محل قبيلة كتامة التي بدأت تستنزف قواها بسبب الحروب الكثيرة التي خاضتها، وقد عمل أيضا بنو زيرى جادين على أن يظهروا للفاطميين الولاء والإخلاص الصادقين. ولعل بنى زيرى أرادوا من وراء هذا العمل أن يبرهنوا للفاطميين عن قوتهم وجدارتهم بمنافسة قبيلة كتامة واحتلال مكانتها، لاسيما وأن الكتاميين ما انفكوا يخرجون من معركة إلا ويدخلون في أخرى حتى انتهت قواهم ونقص عددهم (١) وهذا ما تأكد بالفعل حينما لعب بنو زيرى دورا الغ الأهمية، في حصار أبي يزيد مخلد النكارى (صاحب الحمار) للمهدية إذ استطاعوا أن يفكوا الحصار عن الفاطميين وتخليصهم من يد الثوار(٢) . ومنذ ذلك الوقت استرعت صنهاجة انتباه الفاطميين أصحاب إفريقية وأصبحت ساعدهم الإيمن.

وعندما كان الخليفة المعز لدين الله الفاطمي (٣٤١- ٣٦٥هـ/ ٩٥٢-٩٧٥م) بصدد تنفيذ مشروعة المسَّيرْ لاحتلال مصر فقد بعث جيشا كبيرا بقيادة جوهر الصقلي إلى مصر سنة ٣٥٨هـ/٩٦٩م، وتمكن هذا القائد من السيطرة عليها، وأسس بها عاصمة جديدة أطلق عليها اسم "القاهرة المعزية"(٣) وقد وصف الدكتور أحمد مختار العبادى، هذا الحدث بأنه فريد من نوعه، إذ لم يسبق لمصر أن فتحت من حدودها الغربية إلا في أيام

---

(١)مراجع عقلية الغناى: علاقات الإمارة الصنهاجية بجيرانها وأثرها في ليبيا، (بني غازى، بدون تاريخ) ص٢٢

(٢)ابن خلدون: مصدر سابق، ج٤، ص٨٧ .

(٣)ابن خلدون: المصدر السابق، ج٤، ص١٠٠، النويرى: مصدر سابق، ج٢٤، ص١٥٥

الفراعنة حينما غزاها الليبيون أيام الأسرتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين([١]) .

ولما عزم المعز لدين الله على المسير إلى مصر أخذ يفكر فيمن يسند له ولاية المغرب، وأول من قصده في هذا الأمر جعفر بن على المعروف بالإندلسي صاحب مدينة المسيلة وإقليم الزاب، لكن هذا الأمير فشل في رده على الخليفة المعز لدين الله حينما عرض عليه الأمر، فقال للمعز: "تترك معي أحد أولادك أو أخوتك يجلس في القصر، وأنا أدبر، ولا تسألني عن شئ من الأموال، لأن ما أجبيهه، يكون بإزاء ما أنفقه، وإذا أردت أمرا فعلته، من غير أن انتظر ورود أمرك فيه، لبعد ما بين مصر والمغرب، ويكون تقليد القضاء والخراج وغيره من قبل نفسي ([٢])

فغضب الخليفة المعز لهذا الرد، الذي يوحي من البداية على رغبته في الاستقلال ببلاد المغرب، فعبر عن ذلك بقوله: "يا جعفر عزلتني عن ملكي، وأردت أن تجعل لي شريكا في أمري، واستبددت بالأموال والأعمال دوني، قم فقد أخطأت وما أصبت رشدك" وخرج من مجلسه غاضبا([٣]).

ثم بعث المعز لدين الله إلى شيوخ قبيلة كتامة رسولا من أمنائه يختبر حقيقة طاعتهم وولائهم، وقال لهم: "يا أخوتنا قد رأينا أن تنفذ رجالا من قبلنا

([١])في تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٢٩

([٢])المقريزى: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٧م ج١، ص٩٩

([٣])المقريزى: المصدر السابق ج١، ص٩٩

إلى بلدان كتامة، يقيمون بينهم، ويأخذون صدقاتهم ومراعيهم ويحفظونها علينا في بلادهم، فإذا احتجنا إليها انقذنا فاستعنا بها على ما نحن بسبيله"([١]).

وقد رد بعض شيوخ كتامة على رسول المعز لدين الله بأنفه وكبرياء قائلين له: "قل لمولانا والله لا فعلنا هذا أبدا، كيف تؤدي كتامة الجزية؟، وقد أعزها الله قديما بالإسلام، وحديثا معكم بالإيمان وسيوفنا بطاعتكم في المشرق والمغرب"([٢])

فعاد رسول الخليفة إلى المهدية وأخبره بما دار بينه وبين الكتاميين، فأمر بإحضار جماعتهم وقال لهم: "ما هذا الجواب الذي صدر عنكم، فقالوا: نعم هو جواب جماعتنا، وما كنا يا مولانا بالذي يؤدي جزية تبقي علينا"([٣])عند ذلك ، أدرك الخليفة المعز لدين الله حقيقة قبيلة كتامة، وأنها تريد أن تخلع عنها رداء الطاعة والولاء للفاطميين إن هم غادروا المغرب إلى مصر، أوهم قللوا من الامتيازات التي يتمتعون بها.

فعمل على إنهاء الموقف بقوله: "بارك الله فيكم فهكذا أريد أن تكونوا، وإنما أردت أن أجربكم، فانظروا كيف أنتم بعدي إذا سرنا عنكم إلى مصر، هل تقبلون هذا أو تفعلونه، وتدخلون تحته ممن يرومه منكم؟ والآن سررتموني بارك الله فيكم" ([٤])

ولم يجد المعز لدين الله بدا من التوجه إلى زعيم صنهاجة يوسف (بلكين بن زيرى) ليعرض عليه ولاية إفريقية والمغرب، وقد كشف بلكين بن

([١])المقريزى: مصدر سابق، ج١، ص٩٨

([٢])المقريزى: المصدر السابق، ج١، ص٩٨

([٣])المقريزى: المصدر السابق، ج١، ص٩٨

(٤)المقريزى: مصدر سابق، ج١، ص٩٨ .

زيرى عن سياسة ماهرة في الحوار الذي دار بينه وبين المعز لدين الله، يدل على نضوجه السياسي ووعيه الدبلوماسي ، كما يدل على دهائه وكياسته، فلعله كان يتحين الفرصة، ويتصيدها إذ أخذ يجامل المعز لدين الله ويخادعه، حتى يحصل على ما كان ينشده ، فقد تصنع الخوف من هذه المسئولية الثقيلة الملقاة على عاتقة، وهي ولاية إفريقية والمغرب، بكل ما فيه من فوضى سياسية واضطراب اجتماعي وتناقضات مذهبية، فهي لم تصف لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف تصفوا إذن لبلكن بن زيرى وهو صنهاجي بربري(١). فلم يزل به الخليفة المعز لدين الله حتى قبل الأمر وقال: "يا مولانا بشريطة أن تولى القضاء والخراج لمن تراه وتختاره، والخير لمن تثق به، وتجعلني أنا قائما بين أيديهم، فمن استعصى عليهم أمروني به حتى أعمل فيه ما يجب، ويكون الأمر لهم، وأنا خادم بين يديك(٢).

فاستحسن المعز لدين الله الفاطمي جواب بلكين بن زيرى، واعتبره يخدم مصالح الفاطميين في المغرب، وشكره على قوله هذا وعهد إليه بإمارة إفريقية والمغرب(٣).

ثم رحل إلى القاهرة فوصلها في رمضان سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م، واستخلف على إفريقية بلكين بن زيرى، وأنزله القيروان وسماه يوسف، وكناه أبا الفتوح ولقبه سيف الدولة، ووصله بالخلع والكسوة الفاخرة، وأوصاه ألا يرفع السيف عن البربر، ولا يرفع الجباية عن أهل البادية، ولا يولي أحداً

---

(١)المقريزى: المصدر السابق ج١، ص٩٩ .

(٢)المقريزى: مصدر سابق، ج١، ص٩٩ .

(٣)المصدر السابق، ص٩٩ .

من أهل بيعته(١) هكذا بدأت إفريقية والمغرب عهدا جديدا في ظل الحكم الزيري الصنهاجي، وتجلت هذه المواهب الزيرية في الخطة التي رسمها شيوخ هذه القبيلة لأنفسهم، للمحافظة على بقاء مقاليد الأمور في أيديهم. إذ تابع بلكين بن زيرى سياسة أبيه في مساندة الفاطميين والولاء لهم، والتصدي للنشاط الزناتي الأموي، أعداء الفاطميين الألداء ، فاصطدم بهم ودخل معهم في صراع عنيف وطويل.

وقد كان بلكين بن زيرى في الظاهر مجرد ممثل للخليفة الفاطمي ينفذ أوامره فحسب كسائر الولاه، أما في الواقع فكان يتمتع بسلطة تشبه الاستقلال التام، لأنه كان من حقه الإشراف على شئون الحكم المدني والشئون الحربية والمالية، وتعيين القضاء، بالإضافة إلى أنهم كانوا يحملون ألقاب الشرف التي يمنحها الخلفاء ويُصدرون بها الكتابات والسجلات الرسمية(٢) .

وكان بنو زيري من أوفى الناس للفاطميين أول أمرهم متمسكين بدعوتهم مقربين عندهم، لذلك عهد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله لبلكين ابن زيرى بن مناد الصنهاجي بولاية الممتلكات الفاطمية في الشمال الإفريقي عندما قرر الانتقال إلى القاهرة، وظل ولاء بني زيري للفاطميين مستمرا حتى جاء المعز بن باديس (٤٠٦- ٤٥٣هـ/١٠١٥- ١٠٦١م) الدي تمرد على الفاطميين، وقد شجعه على ذلك ضعف الخلافة الفاطمية نتيجة للمجاعة العظمى التي تعرضت لها مصر زمن الخليفة الفاطمي المستنصر بالله (٤٢٧- ٤٨٧هـ/١٠٣٥- ١٠٩٤م) مما عرف في التاريخ باسم الشدة

---

(١)ابن خلدون: مصدر سابق، ج٤، ص١٠٢، ١٠٣، ج٦ ، ص٣١٧، ٣١٨ .

(٢)محمد ولد دادة: مفهوم الملك في المغرب، دار الكتاب اللبناني – بيروت – دار الكتاب المصري، القاهرة، ط١، ١٩٧٧م ، ص٨٤

العظمى، وازدياد نفوذ الوزراء(١) وشيوع الشك في نسب الفاطميين وقلة أعداد الشيعة في إفريقية(٢) يضاف إلى ذلك الميل الفطري في الإنسان للاستقلال ونقض التبعية. لهذا تمرد المعز بن باديس الصنهاجي، وأعلن تبعيته للخليفة العباسي القائم بأمر الله وقد قرر المعز بن باديس الخروج رسمياً عن طاعة الفاطميين ودعا للقائم بأمر الله سنة ٤٣٣هـ/١٠٤١م، وفي ذلك يقول ابن عذارى، "وأظهر المعز الدعوة للدولة العباسية، وورد عليه عهد القائم بأمر الله سنة ٤٣٣هـ/١٠٤١م (٣).

أمال الرواية المنسوبة إلى النويري فهي تفيد أن المعز بن باديس قد أظهر الدعوة للدولة العباسية وخطب للخليفة القائم بأمر الله في سنة ٤٣٥هـ/١٠٤٣م ، ووردت عليه الرسل بالخلع والتقليد ببلاد إفريقية وجميع ما بفتحه، وفي أول الكتاب الذي أرسله مع الرسل "من عبد الله ووليه أبي جعفر القائم بأمر الله أمير المؤمنين إلى الملك الأوحد نور الإسلام، وشرف الأيام وعمدة الأنام، ناصر الدين ، وقاهر أعداء الله، ومؤيد سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبي تميم المعز بن باديس ابن المنصور. ولي أمير المؤمنين... وأرسل إليه سيف وفرس وخادمه وألوية كثيرة، فوصل ذلك في يوم الجمعة، فدخل به إلى الجامع والخطيب يخطب الخطبة الثانية،

---

(١)ابن خلدون: مصدر سابق، ج١، ص١٣٤ وما بعدها.

(٢)ابن عذارى: مصدر سابق، ج١، ص١٥٨: ١٦٠ .ابن خلكان : وفيان الأعيان وأنباء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت، ١٩٧٨م، ج٥، ص١١٩:١١٧

(٣)البيان المغرب: ج١، ص٢٧٥، ٢٧٦ .

فدخلت الألوية إلى الجامع، فقيل للخطيب "أذكر الساعة ما أمكن" فقال: هذا لواء الحمد يجمعكم، وهذا معز الدين يسمعكم، واستغفر الله لي ولكم" (١).

مما سبق يتضح لنا أن المعز بن باديس خرج عن طاعة الفاطميين ودعا للخليفة العباسي القائم بأمر الله، فكتب إليه بعهده وجاءته الخلعة واللقب، كما جاءته الألوية العباسية السوداء. وقد أتبع المعز بن باديس ذلك بقطع الدعوة للفاطميين في خطبة الجمعة عام ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م، وأمر بحرق الرايات الفاطمية، وبلعن الفاطميين على منابر المساجد في خطبة الجمعة(٢).

وفي ذلك يقول ابن عذارى: "وقطعت الخطبة لصاحب مصر وأحرقت بنوده... وأمر المعز أن يُدعى على منابر إفريقية للعباس بن عبد المطلب، ويقطع دعوة الشيعة العبيدين، فدعا الخطيب للخلفاء الأربعة وللعباس ولبقيه العشرة رضي الله عنهم" (٣).

وقد أدخلت هذه الإجراءات البهجة والسرور على أهل القيروان المالكية والمصلين الذين كانوا قد أمسكوا قبل ذلك التاريخ عن أداء صلاة الجمعة فرارا من الدعوة الفاطمية(٤).

ولما خطب المعز بن باديس لبني العباس كتب إليه المستنصر الفاطمي يتهدده ويقول له: "هلا اقتفيت آثار آبائك في الطاعة والولاء. فأجابه المعز:

---

(١)نهاية الأرب، ج٢٤، ص٢٠٩

(٢)ابن عذارى: مصدر سابق، ج١، ص٢٧٧

(٣)البيان المغرب، ج١، ص٢٧٧

(٤)الهادجي روجي إدريس:الدولة الصنهاجية ، ترجمة حمادى الساحلي، دار الغرب الإسلامي ، بيروت – لبنان ط١، ١٩٩٢م، ج١ ،ص٢٣٥ .

إن آبائي وأجدادي كانوا ملوك المغرب قبل أن يملكه أسلافك، ولهم عليهم من الخدم أعظم من التقديم، ولو أخروهم لتقدموهم بأسيافهم" (١) .

وفي عام ٤٤١هـ/١٠٤٩م أمر المعز بن باديس بتغيير سك النقود، فأصبحت الدنانير من الطراز السنى وهي تتميز بحذف العبارات الفاطمية وإلغاء اسم الخليفة الفاطمي وإثبات الآية القرآنية: (ومن يتبع غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين" على وجه من الدينار، وعلى الوجه الآخر "لا إله إلا الله محمد رسول الله"(٢). كما أمر بسبك ما كان عنده من الدنانير والدراهم التي عليها أسماء الفاطميين، فسكت وكانت أموالا كثيرة وذلك في سائر عمله(٣) .

وفي سنة٤٤٣هـ/١٠٥١م أمر المعز بن باديس الصنهاجي (٤٠٦-٤٥٣هـ/١٠١٥- ١٠٦١م) بأن يلبس الفقهاء والقضاه الملابس السوداء (رمز العباسيين)، وفي ذلك يقول ابن عذارى: "وكان لباس السواد بالقيروان والدعاء لبني العباس"(٤) ومن أجل ذلك أمر المعز بن باديس بإحضار جماعة من الصباغين وأخرج لهم ثيابا بيضاء وأمرهم أن يصبغوها بالألوان السوداء، ثم جمع الخياطين فقطعوها أثوابا، ثم جمع الفقهاء وخطيبي القيروان، وجمع المؤذنين وكساهم هذه الأثواب، ونزلوا بأجمعهم وركب السلطان بعدهم، حتى وصل الركب إلى جامع القيروان، ثم صعد الخطيب

---

(١)النويرى: مصدر سابق، ج٢٤، ص٢٠٩، ٢١٠ .

(٢)ابن عذارى: مصدر سابق، ج١، ص٢٧٨، والآية رقم ٨٥ من سورة آل عمران.

(٣)ابن عذارى: المصدر السابق، ج١، ص٢٧٨، ابن الخطيب: أعمال الأعلام .تحقيق أحمد مختار العبادى وآخر، الدار البيضاء ، ١٩٦٤م، ج٣، ص٧٣، ٧٤ .

(٤)البيان المغرب ، ج١، ص٢٨٠ .

المنبر، وخطب خطبة بليغة دعا فيها للخليفة العباسي القائم بأمر الله وللمعز بن باديس ولولده الطاهر تميم ولى عهده من بعده، ثم أخذ الخطيب يلعن الفاطميين ([1])٠

مما سبق يتضح لنا أن المعز بن باديس رفض طاعة الفاطميين وأعلن استقلاله عنهم واعترف بسيادة الخليفة العباسي القائم بأمر الله٠

٢- العرب الهلالية في المغرب الأدني:

عندما وصلت أنباء ثورة بني زيري على الفاطميين ورفضهم طاعتهم وإعلان استقلالهم عنهم وأعترافهم بسيادة الخليفة العباسي القائم بأمر الله إلى مسامع الخليفة الفاطمي المستنصر بالله الفاطمي(٤٢٧- ٤٨٧هـ/١٠٣٥-١٠٩٤م)، عزم على الانتقام من بني زيري ومعاقبة المعز بن باديس الصنهاجي فسير إليه العرب من بني هلال([2]) الذين كانوا حتى ذلك ممنوعين من مجاز النيل ومرغمين على الإقامة في صعيد مصر، وهم رياح وزغبة والأثيج بالإضافة إلى عدى وجشم وربيعة، أما قبائل بني سليم فلم

([1])ابن عذارى: مصدر سابق، ج١، ص٢٨٠

([2])لمعرفة أصل القبائل الهلالية ، وموطنهم وسبب قدومهم إلى المغرب، وما ترتب على ذلك من نتائج انظر: ابن خلدون: مصدر سابق، ج٢، ص٣٢٥، ٣٢٦، ابن عذارى: المصدر السابق، ج١، ص٢٨٨ وما بعدها، حسن على حسن، الغزو الهلالي للمغرب، المجلة التاريخية، عدد ٢٤، ص١٠٤: ١٤١، عبد الله العروى: تاريخ المغرب، ترجمة ذوقان قرقوط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٧٧م، ص١٤٨، وما بعدها، كلود كاهن:مرجع سابق ص١٩٣، محمد العروس المطوى: سيرة القيروان، الدار العربية ، ليبيا – تونس، ١٩٨١م، ص٧٦، ٧٧ ٠

ترحل إلا فيما بعد. وهذا القبائل بمجموعها قبائل عربية مشاغبة، كانت تشغل بال السلطة الفاطمية وذلك سنة ٤٤٣هـ/١٠٥١م (١)

وقد فكر الوزير اليازورى في استخدام تلك الحشود الهمجية،فأشار على الخليفة المستنصر بالله بمصالحة تلك القبائل وتقليد رؤسائها إفريقية وتوجيه رجالها إلى محاربة بني زيرى الذين رفضوا الطاعة والولاء للفاطميين وبعد أن استشار الوزير اليازورى الخليفة وجه العرب الهلالية من صعيد مصر إلى إفريقية (٢) ووعدهم بملك البلاد وفي ذلك يقول اليازورى: "قد أعطيناكم المغرب وحكم ابن باديس العبد الآبق(٣) كما كتب نفس الوزير للمعز بن باديس يقول له: "أما بعد فقد أنفذنا إليكم خيولا فحولا، وأرسلنا عليها رجالا كهولا، ليقضي الله أمرا كان مفعولا"(٤) .

وقد فرق الخليفة الأموال على شيوخ هذه القبائل ووعدهم بملك إفريقية بدلا من بني زيرى الذين رفضوا طاعتهم(٥) فزحفوا ناحية برقة

---

(١)النويرى: مصدر سابق، ج٢٤، ص٢١٠، ٢١١، ابن عذارى: مصدر سابق، ج١، ص٢٨٨، ابن خلدون:مصدر سابق،ج٤، ص١٣٠، ١٣١، ابن الخطيب:أعمال الأعلام، ج٣،ص٧٤، ٧٥ .

(٢)ابن خلدون: المصدر السابق، ج٤، ص١٣١، النويرى: المصدر السابق، ص٢١٠

(٣)ابن خلدون: المصدر السابق، ج٦، ص٣١ .

(٤)ابن خلدون: مصدر سابق، ج٦، ص٣١، ج٤، ص١٣١، النويرى: مصدر سابق، ص٢١١

(٥)بعث الخليفة الفاطمي المستنصر بالله إلى العرب أموالا وزعها عليهم بواقع دينار وبعير لكل واحد، وأباح لهم عبور النيل إلى شاطئه الغربي وكان ذلك أمراً محرما عليهم قبل ذلك هذا بالنسبة للفوج الأول، أما الفوج الثاني فقد أخذ من كل فرد=

فاستولوا على مدنها وقراها وخربوها، ثم زحفوا ناحية إفريقية كالجراد المنتشر لا يمرون بشئ إلا أتوا عليه(١) ثم زحفوا ناحية القيروان فعاثوا في البلاد فسادا وأعلنوا في كل مكان سيادة الخليفة المستنصر بالله الفاطمي (٢)

وعمت أعمال السلب والنهب بعض مدن وقرى المغرب الأدنى، فأرسل إليهم المعز بن باديس بعض الفقهاء ومعهم مكاتبات ووصايا، فأخذوا عليهم العهود والمواثيق.

بالرجوع إلى الطاعة، ومن أجل ذلك قدم على المعز بن باديس بعض أمراء العرب فأنعم عليهم وأكرم وفادتهم ، ثم بعد ذلك نكثوا العهد وشنوا الغارات، وقطعوا الطريق وأفسدوا الزروع، وقطعوا الثمار وحاصروا المدن، فضاق بالناس الأمر وساءت أحوالهم فقطعت أسفارهم ونزل بإفريقية بلاء لم ينزل بها مثله من قبل (٣) .

وقد تقابل المعز بن باديس مع العرب الهلالية في معركة حامية الوطيس قرب جبل حيدران (٤) هُزم فيها ابن باديس ، وعقب الموقعة تراجع

= دينارين، أي أنه أخذ من الفوج الثاني أضعاف ما أعطي للفوج الأول. انظر: ابن عذارى: مصدر سابق، ج١، ص٢٨٨، ابن خلدون: المصدر السابق، ج٦، ص٣١ .

(١)ابن خلدون : المصدر السابق، ج٦، ص٣١ .

(٢)ابن عذارى: المصدر السابق، ج١، ص٢٨٨، ٢٨٩، ابن خلدون: المصدر السابق، ج٦، ص٣١، ٣٢ .

(٣)النويرى: مصدر سابق، ج٢٤، ص٢١٣، ٢١٤

(٤)جبل حيدران: جبل يقع على بعد مسيرة ثلاثة أيام من القيروان حسب رواية النويرى، ويقول ابن خلدون: أن عرب رياح وزغبة وعدى أقاموا جنوب حيدران في ضواحي قابس، ويرى حسن حسنى عبد الوهاب أن جبل حيدران يقع في الجنوب الشرقي من تونس في المكان المعروف الآن باسم دران، انظر: النويرى: المصدر السابق=

إلى المنصورية وتحصن فيها وحاصره الهلاليون عام٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م فهجر المدينة إلى المهدية وكان بها تميم بن المعز، وأنساب العرب في بقية مدن المغرب الأدنى فخربوا القيروان، وكان هؤلاء العرب لا مبدأ لهم إلا السلب والنهب والتخريب والتدمير، وكانوا كثيرى العدد يفضلون سكن الخيام والبوادي ولكنهم استطاعوا أن يكونوا عدة إمارات (١) كما سار بعضهم جندا في صفوف الصنهاجيين والزناتيين وجعلوا من أنفسهم قوة ذات شأن تسيطر على بعض المناطق الداخلية في المغرب الأدنى، وكانوا في مقابل ذلك يحصلون على أتاوة من الصنهاجيين مقدارها نصف غلة البلاد من تمرها وبرها(٢) أما سواحل المغرب الأدنى فقد سقطت في يد النورمان ويمكن أن يقال أن هؤلاء العرب استطاعوا أن يفرضوا أنفسهم بعنف وقوة على سير الحوادث قبيل مجئ الموحدين وفي أثناء حكمهم بل وبعد ذلك زمن بني مرين حيث قامت الحرب بين الطرفين(٣).

ويكفي للدلالة على سوء سمعه هؤلاء العرب أنه أثناء هذه الحوادث، كان مسلموا الأندلس يئنون من سوء وطأة النصارى، فاقترح عليهم البعض الاستعانة بالعرب الهلالية ضد الأسبان، ولكن هذا الاقتراح عورض، فقد

=،ج٢٤، ص٢١٤، ابن خلدون: مصدر سابق، ج٦، ص٣٢، حسن حسنى عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس، طبعة تونس، ١٣٤٤، ص٩٧ .

(١)لمزيد من التفاصيل عن موقعة حيدران. انظر: ابن عذارى: مصدر سابق، ج١، ص٢٨٨ وما بعدها، ابن خلدون: مصدر سابق، ج٦، ص٣٢، وما بعدها ، النويرى: مصدر سابق، ج٢٤، ص٢١٤ وما بعدها.

(٢)المراكشى: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق:محمد زينهم، دار الفرجاني للنشر، القاهرة ١٩٩٤م، ص١٨٩ .

(٣)ابن أبي زرع: روض القرطاس ، دار المنصور للطباعة، الرباط، ١٩٧٢م، ص٢٨٦

خشوا عواقبه الوخيمة لأنهم يعرفون ما عليه هؤلاء العرب من وحشية وحب للسلب والنهب، لذا خشوا – أي الأندلسيين – أن يلجأوا إلى سلب أموالهم ونهب دورهم، قبل أن يفكروا في مناوأة المسيحيين وقتالهم ، لذا فصل الأندلسيون الاستنجاد بالمرابطين أمراء المغرب (١) وقد عانت إفريقية وبقية الشمال الإفريقي من فوضى وعبث وتخريب هؤلاء العرب(٢)

مما سبق يتضح لنا أن الغزوة الهلالية التي تعرضت لها بلاد بني زيرى بتحريض الفاطميين بعد أن أعلن الزيريون استقلالهم عن الفاطميين أثرت كثيرا في قوتهم وفتت في عضدهم وأفقدتهم السيطرة على معظم أراضي دولتهم، فأفسدوا فيها وطمسوا كثيرا من معالمها وقد انجلى هذا الموقف عن تفكك دولة بني زيرى وضعفها وانقسمت إلى إمارات محلية بعضها إمارات زناتية وأخرى عربية، وبقيت مدن الساحل كالمهدية في أيدي بني زيرى ، وهذا الانقسام وتلك الفوضى ساعدت النورمان من بعدهم الموحدين على اجتياح المغرب الأدنى لأنهم لم يجدوا أمامهم قوة منظمة ودولة موحدة، وإنما بلاد تئن من الفوضى والاضطراب والانقسام.

النورمان وبنو زيرى في المغرب الأدني:

كانت جزيرة صقلية – في عهد المعز بن باديس (٤٠٦- ٤٥٣هـ/ ١٠١٥- ١٠٦١م) وابنه تميم المعز بن باديس (٤٥٣- ٥٠١هـ/١٠٦١-

---

(١)دوزى: ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام، ترجمة كامل كيلاني، القاهرة ١٩٣٣م، ص٢٨٠ .

(٢)عن التخريب والفوضى التي ترتبت على الغزو الهلالي للمغرب، انظر: ابن عذارى: مصدر سابق، ج١، ص٢٨٨ وما بعدها، النويرى: مصدر سابق، ج٢٤، ص٢١٤ وما بعدها، ابن خلدون: مصدر سابق، ج٦، ص٣٢ وما بعدها.

١١٠٧م) – تمر بمحنة سياسية وطائفية بين مسلمي البربر والسكان العرب، تلك الخلافات(١). التي مكنت النورمان في النهاية من الاستيلاء عليها عام ٤٨٤هـ/١٠٩١م(٢) وبذلك ضاعت جزيرة صقلية من أيدي المسلمين أيام بني زيرى. ولكنهم لم يكونوا مسئولين عن ذلك وحدهم، بل تقع المسئولية أيضا على الفاطميين الذين احتفظوا بها تابعة لهم بعد انتقالهم إلى مصر(٣).

وبعد استيلاء روجر الأول(٤٦٤- ٤٩٤هـ/١٠٧١- ١١٠٠م) على صقلية بعشر سنوات مات سنة ٤٩٤هـ/ ١١م) وخلفه ابنه روجر الثاني (٤٩٤- ٥٤٨هـ/١١٠- ١١٥٣م)(٤) وفي عهده ساءت العلاقات بينه وبين على بن يحيى بن تميم (٥٠٩- ٥١٢هـ/١١١٥- ١١٢١م) وكان سبب ذلك خلافا حدث بين الأمير الزيرى ، وولية على مدينة قابس(٥) رافع بن مكن بن

---

(١)لمعرفة أسباب هذه الخلافات انظر: ابن الأثير : مصدر سابق، ج١٠، ص١٩٥: ١٩٧، النويرى: مصدر سابق، ج٢٤، ص٣٨٠، ٣٨١، أمير تورينسبنانو: مرجع سابق. ص ١٧٣.

(٢)ابن الأثير: المصدر السابق ج١٠،ص١٩٨، النويرى: المصدر السابق، ج٢٤، ص٢٨٣ .

(٣)حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس(مطابع المستقبل بالقاهرة والإسكندرية، ط١، ١٩٨٠م)، ص١٥٥ .

(٤)الحميرى:مصدر سابق، ص٣٦٦، ٣٦٧، الإدريسى: مصدر سابق، ج٣، ص٥٨٩، زابباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكم في التاريخ الإسلامي،(ترجمة زكي محمد حسن واخر، مطبعة جامعة فؤاد الأول، ١٩٥١م) ج١، ص١٠٨، بينما يجعل ابن الأثير: وفاة روجر الأول عام ٤٩٠هـ/١٠٩٦م انظر: الكامل في التاريخ ج١٠، ص١٩٨

(٥)قابس: مدينة من بلاد إفريقية بين طرابلس وصفاقس ، بينها وبين القيروان أربع مراحل، وطرابلس ثمانية أيام، يكثر بها الأشجار والثمار والعيون. وقد وصفها التيجاني بأنها دمشق الصغرى، وهي بحرية صحراوية، فإن الصحراء متصلة بها، والبحر على ثلاثة أميال منها: انظر الإدريسى: مصدر سابق، ج١، ص٢٧٩، الحميرى: مصدر سابق، ص٤٥٠، ياقوت: مصدر سابق، ج٤، ص٢٨٩، التيجاني: رحلة التيجاني، (تقديم حسن حسنى عبد الوهاب، الدار المصرية للكتاب – ليبيا – تونس، ١٩٨٣م)، ص٨٧ .

كامل بن جامع الرياحي بسبب رغبة الأخير في احتكار التجارة البحرية بمفرده دون منازع، وكان رافع قد حصل على موافقة الأمير يحيى بن تميم على ذلك قبل وفاته، فلما تولى ابنه على بن يحيى عارض هذا المشروع وقال: "لا يكون لأحد من أهل إفريقية أن يناوئني في إجراء المراكب في البحر بالتجار"([1]) ومن أجل ذلك أرسل سنة ٥١١هـ/١١١٧م أسطولا كبيراً إلى قابس لمنع هذه السفن من الإقلاع، أو أخذها بالقوة إذا أقلعت([2]).

وعندما علم رافع بن مكن بذلك استعان بروجر الثاني صاحب صقلية، فلم يتردد في العمل على مساعدته، وأمده بأسطول ضخم يتكون من أربع وعشرين قطعة بحرية، ثم أبحر به نحو مدينة قابس، فلما علم الأمير الزيرى على بن يحيى بخبر هذا الأسطول، فأخرج أسطوله من قاعدته المهدية، وسار به نحو قابس، فوجد الأسطول النورماندي راسيا في مياهها فأخذه على غرة، وأوقع به القتل واستولى على كثير من قطعه البحرية، ولاذا الباقون بالقرار([3]).

والجدير بالذكر أن استجابة روجر الثاني السريعة لوالي مدينة قابس كانت عاملاً في تدهور العلاقات الزيرية النورمندية فقد أخذ كل منها يستعد للأخر، ومنذ ذلك الحين أخذ الأمير الزيرى على بن يحيى يدعم أسطوله

([1])التيجاني: المصدر السابق، ص٩٨، ابن الأثير: مصدر سابق، ج١٠، ص٥٢٩، النويرى: مصدر سابق، ص٢٤٢، ٢٤٣ .

([2])ابن خلدون: مصدر سابق، ج٦، ص٣٢٩، ٣٣٠، التيجاني: المصدر السابق، ص٩٨، النويرى: المصدر السابق، ص٢٤٣ .

([3])التيجاني: مصدر سابق، ص٩٨، ابن الأثير:مصدر سابق، ج١٠، ص٥٣٠، ابن خلدون: مصدر سابق، ج٦، ص٣٣٠ .

ويقويه ليكون على أهبة الاستعداد لمواجهة أي خطر من جانب النورمان(١)، فعمر عشر مراكب حربية وثلاثين غرابا(٢) وشحنها بالرجال والعتاد والنفط وجميع ما تحتاج إليه(٣) وفي نفس الوقت كاتب المرابطين بمراكش لأنه كان يدرك عدم قدرته على مواجهة روجر الثاني وحده فأرسل إلى أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠- ٥٣٧هـ/١١٠٦- ١١٤٣م)، يطلب منه الاجتماع معه على غزو جزيرة صقلية ومنع روجر الثاني عما يدور في ذهنه من الاستيلاء على المهدية وتهديد السواحل الإفريقية(٤).

غير أن المنية عاجلت الأمير الزيري على بن يحيي فتوفي سنة ٥١٥هـ/١١٢١م، وخلفه ابنه الحسن بن على بن تميم الزيرى(٥١٥- ٥٤٣هـ/١١٢١- ١١٤٨م)، أخر أمراء بني زيرى. وقد حدث في أوائل عهده أن قام أمير البحر أبو عبد الله بن ميمون قائد الأسطول المرابطي، بالإغارة على جزيرة صقلية سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م، واستولى على مدينة نقوطرة(٥)، وسلب ما كان فيها من أموال ومتاع، وسبى نساءها وأطفالها

---

(١)ابن عذارى: مصدر سابق، ج١، ص٢٠٧، ابن الأثير: المصدر السابق، ج١٠، ص٥٣٠ .

(٢)الغراب: مركب صغيرة الحجم شديدة البأس تستخدم في الأغراض العاجلة نظرا لسرعتها، لمزيد من التفاصيل عن هذا النوع من السفن. انظر: درويش النخيلي: السفن الإسلامية على حروف المعجم (دار المعارف، ط٢، ١٩٧١م) ص١٠٤ .

(٣)النويرى: مصدر سابق، ص٢٤٤، سالم : البحرية في المغرب والأندلس (مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٣م)، ج٢، ص٢١١ .

(٤)التيجاني:مصدر سابق، ص٣٣٤، ابن خلدون: مصدر سابق، ج٦، ص٣٣ .

(٥)تقوطره: مدينة على ساحل قلورية في أقصى جنوب إيطاليا، شرقي صقلية بها . دن كثيرة، وبلاد واسعة، انظر: ياقوت: مصدر سابق، ج٤، ص٣٩٢ .

وقتل شيوخها(١). فلم يشك روجر الثاني أن المحرك لذلك العمل هو الحسن بن على صاحب المهدية، لما تقدم بينه وبين أبيه من خلاف عندما هدده بإدخال المرابطين والعرب إلى صقلية، لذا قام روجر الثاني بإعداد حملة واسعة النطاق ضد بني زيرى فجد في تعمير أسطوله البحري، واستنفر أهل البلاد قاطبة، فاجتمع له خلق كثير. وأحاط خبر هذه الاستعدادات بسرية تامة حتى يفاجئ المسلمين بها، إلا أن أمره لم يلبث أن انكشف، ولذلك أخذ الحسن بن على الزيرى، يعد العدة ويجدد الأسوار ويجمع المقاتلة من أهل البلاد ومن العرب، فجاءته الحشود من كل صوب وحدب، واتخذت الدولة جميع الاحتياطات اللازمة لمواجهة أي هجوم متوقع(٢).

وفي شهر جمادي الأولى سنة ٥١٧هـ/يولية ١١٢٣م، خرج روجر الثاني بأسطوله المكون من ثلاثمائة قطعة بحرية على متنها ثلاثة آلاف مقاتل،وأكثر من ألف فارس تحت قيادة جورجي الأنطاكي(٣) ، وعبد

---

(١)هويس ميراند: على بن يوسف وأعماله في الأندلس (مجلة تطوان، عدد٣، فاس ١٩٥٨م)، ص١٧٠ .

(٢)ابن عذارى: مصدر سابق، ج١، ص٢٠٨، ج٤، ص٦٤، التيجاني: مصدر سابق، ص٣٣٥، ابن الأثير: مصدر سابق، ج١٠، ص٦١٠، ابن خلدون: مصدر سابق، ج٦، ص٣٣٠، امبرتورتسيانو، مرجع سابق، ص١٨٤، سالم: البحرية، ج٢، ص٢١٣ .

(٣)جورجي الإنطاكي: هو نصراني من نصارى أنطاكية بالشام، هاجر إلى المغرب، وتعلم اللغة العربية وعلم الحساب، ثم التحق بخدمة الأمير تميم بن المعز، وحظي بمكانة عظيمة في بلاطة، حتى كان الأمير يشاوره في كل أمور الدولة، وأصبح أمين سره، ولما توفى الأمير تميم بن المعز سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م، خاف جورجي من الأمير يحيى، فرحل إلى صقلية حيث استقبله روجر الثاني أحسن استقبال وأسند إليه الكثير من المهام منها قيادة الأسطول ، وقد لعب هذا الرجل دوراً كبيراً في إحداث الصراع بين النورمانديين والزيريين، انظر: ابن خلدون: مصدر سابق، ج٦، ص٣٣٠، ٣٣١، التيجاني: مصدر سابق، ص٣٣٣، ٣٣٤، ابن الأثير: مصدر سابق، ج١١، ص١٤٥، سالم: البحرية، ج٢، ص٢١٣، رضوان البارودي=

الرحمن بن عبد العزيز النصراني(١) ٠ عازما على غزو المهدية، غيـــر أن هذا الأسطول بعد خروجه من مرسى على(٢) تعرض لعاصفة بحرية عنيفة فرقته وكبدته خسائر فادحة(٣) ٠

وفي آخر جمادي الأولى ســنة ٥١٧هـــ/١١٢٣م وصــل الأســطول النورماندي ببقية سفنه إلى الشاطي الإفريقي، وفي طريقــه افتــتح جزيــرة قوصره(٤) ، وقتلوا من فيها وغنموا منها غنائم كثيرة(٥) وعلى بعد عشــرة أميال من المهدية نزل قائد الأسطول النورماندي بجزيرة الأحاسى(٦) وعند ذلك أراد قائد الأسطول النورماندي معاينة المهدية قبــل الاســتيلاء عليهــا، فركب بعض السفن وطافوا بها، وانتهوا إلى مدينة زويله، فها لهم مــا رأيــا بالأسوار والسواحل من الناس، وانصرفوا عائدين إلى جزيــرة الأحاســى،

=أضواء على المسيحية والمسيحيين في المغرب في العصر الإسلامي ، (دار الفكر العربي، ١٩٩٠م، ص٣٠، ٣١ ٠

(١)التيجاني: مصدر سابق، ص٣٣٣، ابن عذارى: مصدر ســابق، ج٤، ص٦٨، ابــن الأثيــر: مصدر سابق، ج١٠، ص٦١٢، ابن خلدون: مصدر سابق، ج٦، ص٣٣١ ٠

(٢)مرسى على: مدينة قديمة من أشرف بلاد صقلية ، خربت وعمرها روجر الأول، فهــي ذات أسواق وأقاليم واسعة٠ انظر: الإدريسى: مصدر سابق، ج٢، ص٦٠٠، الحميــرى: مصــدر سابق، ص٥٣٨، ٥٣٩ ٠

(٣)ابن عذارى:المصدر السابق، ج٤، ص٦٨، التيجاني: المصدر السابق، ص٣٣٧ ٠

(٤)جزيرة قوصره: جزيرة تقع شمال شرقي إفريقية، تبعد عن صقلية ١٠٠كم، وعن إفريقية ٧٠كم وتعرف الآن باسم تطلاريه٠ انظر: الحميرى: مصدر سابق، ص٤٨٥، ٤٨٦، الأدريســى: مصدر سابق، ج٢، ص٥٨٧، ياقوت: مصدر سابق، ج٤، ص٤١٣٠

(٥)ابن خلدون: مصدر سابق، ج٦، ص٣٣١، ابن الأثير: مصــدر سابق، ج١٠، ص٦١٢٠

(٦)جزيرة الأحاسى: جزيرة على بعد عشرة أميال من المهدية، ذات إحساء بينها وبين البر مجاز متداني المعبرين، قريب ما بين الشطين دين خوضه واقتحامه سهل على الفارس والراجــل٠ انظر: الحميرى: المصدر السابق، ص١٤، التيجاني: مصدر سابق ص٣٣٥

فوجدوا طائفة من العرب والأجناد قد دخلوا إليها، وكشفوا من كان فيها من النورمان عن مواضعهم وقتلوا منهم قوما وانتهبوا أسلحتهم([1]).

عند ذلك عاد النورمان واستولوا على قصر الديماس بمساعدة بعض الأعراب، إلا أن المسلمين تمكنوا من حصار النورمان فيه، وشددوا عليهم الحصار، ولم يستطع الأسطول النورماندي الذي كان في عرض البحر من التدخل لفك هذا الحصار المحكم، وعند ذلك أيقن النورمان أنهم غير قادرين على إنقاذ من في القصر فأقلعوا عائدين بسفنهم التي بلغت مائة سفينة إلى جزيرة صقلية([2]) "وَرَدَّ اللهُ الذِينَ كَفَروُا بِغَيظِهِم لَم يَنالوُا خَيرًا وَكَفَى اللهُ المؤمنِيَن القِتَالَ"([3]).

وبعد هذا النصر أرسل الحسن بن على بن تميم الزيرى(٥١٥-٥٤٣هـ/١١٢١- ١١٤٨م) الرسائل إلى مختلف الجهات فجاءته الوفود مهنئين إياه بالنصر . والظاهر أن الحسن بن على أرسل أثناء الحصار البحري الذي فرضه الأسطول النورماندى على المهدية في طلب العون والنجدة من أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين، قلبي المرابطون نداء إخوانهم في إفريقية ضد أعدائهم النورمان، كما استجابوا من قبل لنصرة أمراء الطوائف في الأندلس حينما اشتدت عليهم وطأة النصارى فسارع المرابطون بإرسال أسطولهم بقيادة أمير البحر المرابطي أبو عبدالله محمد بن

([1])التيجاني: المصدر السابق، ص٣٣٥، ٣٣٦ .

([2])التيجاني: المصدر السابق، ص٣٣٦، ابن الأثير: مصدر سابق، ج١٠، ص٦١٢، ٦١٣، ابن عذارى: مصدر سابق، ج١، ص٤٠٩ .

([3])سورة الأحزاب: الآية٢٥

ميمون، (صاحب الغارة الجريئة على نقوطره من قبل)، ولكن هـذه النجـدة وصلت إلى سواحل المهدية بعد هزيمة النورمان وفرارهم إلى بلادهم(١)

غير أن ابن ميمون قائد الأسطول المرابطي لم يشأ أن يعود إلى بلاده خالي الوفاض دون أن يقوم بعمل ما يثاب عليه ، ولذلك لم يتردد في الإغارة على جزيرة صقلية قاعدة النورمان، فهجم على سر قوسه(٢)

وعاث فيها، ونهبها حتى ضج روجر الثاني بالشكوى، وكادت مدينـة قطانية(٣)تلقي نفس المصير لولا يقظة أهلها واستعدادتهم للدفاع عنها، وبعـد ذلك عاد ابن ميمون إلى قواعده محملا بالسبى والغنائم(٤) .

وقد أدرك روجر الثاني بعد فشل حملته على المهدية، وما أعقبها مـن إغارة الأسطول المرابطي على صقلية، أن الفرصة غير مناسبة للاسـتيلاء على المهدية، وتقويض دعائم الدولة الزيرية في ذلك الوقت، فاستكان فترة ثم أخذ يعد العدة لحملة جديدة.

---

(١)ابن خلدون: مصدر سابق، ص٣٣١ ، التيجاني: مصدر سابق، ص٣٣٩ .

(٢)سرقوسه: من أكبر مدن صقلية ، وعاصمتها قديما، تقع على ساحلها الشرقي، والبحر محدق بها دائرة بجميع جهاتها،والدخول إليها والخروج عنها على باب واحـد وهـو بشمالها،وبها مرسيان أحدها أكبر من الآخر، وهو بجنوبها، انظر: الحميرى: مصدر سابق، ص٣١٧، ٣١٨

(٣)مدينة قطانية: مدينة بجزيرة صقلية على ساحل البحر، بها أسواق عامرة، ولها مرسى حسن ترد عليه السفن من مختلف الجهات، انظر: الإدريسى: مصـدر سـابق، ج٢، ص٥٩٦ .

(٤)ابن خلدون: مصدر سابق، ج٦، ص٣٣١، الهـادي إدريـس: مرجـع سـابق، ج٢، ص٣٩٧ .

استيلاء النورمان على المهدية:

أدرك روجر الثاني (٤٩٤- ٥٤٨هـ/١١٠٠- ١١٥٣م) أن الوقت لم يحن بعد لفتح المهدية، فأرجا ذلك لفرصة مواتية، وأخذ يعد العدة لذلك، ولكنه لم ينتظر طويلا، إذ وأتته هذه الفرصة على أثر خلاف اندلع بين الحسن بن على الزيرى (صاحب المهدية) وبين ابن عمه يحيى بن العزيز (صاحب بجاية)([1]) الذي أراد الاستيلاء على المهدية برا وبحرا،

وأمام هذا الأمر استنجد الحسن بن على بالعرب الهلالية والنورمان الذين لبوا النداء، وأرسل روجر الثاني أسطوله المكون من عشرين سفينة حربية لمساعدته، وأمام هذا الإمداد والعون المزدوج انسحبت قوات صاحب بجاية، ثم عادت قوات روجر الثاني إلى صقلية([2]) ٠ وبذلك زال الخطر من ناحية، وعاد الوفاق بين الحسن الزيرى وروجر النورماندي من جهة أخرى٠

غير أن روجر الثاني أثناء مساعدته للحسن بن على أدرك ضعف البحرية الزيرية فعمل على الاستيلاء على المهدية وغيرها من موانى إفريقية٠ لذا جهز في سنة ٥٢٩هـ/١١٣٤م أسطولا قويا أستولى على جزيرة جربة([3]) بعد حصار شديد([4]) ، كما أغار جرجي الإنطاكي على مرسى المهدية سنة ٥٣٦هـ/١١٤١م، في أسطول ضخم تمكن به من

([1])لمعرفة أسباب هذا اخلاف٠ انظر: ابن الأثير: مصدر سابق، ج١١، ص٣١، ٣٢ ٠

([2])التيجاني:مصدر سابق، ص٣٣٩، ٣٤٠، ابن خلدون: مصدر سابق، ج٦، ص٣٣١، ابن الأثير: مصدر سابق، ج١١، ص٣٢، ابن عذارى: مصدر سابق، ج١، ص٤١٢

([3])جزيرة جربة: جزيرة بالبحر المتوسط في خليج قابس، يسكنها البربر٠ انظر: البغدادي: مصدر سابق، ج١، ص٣٢٣

([4])التيجاني: المصدر السابق، ص١٣٦، ابن الأثير: المصدر السابق، ج١١، ص٣٢، الإدريسى: مصدر سابق، ج١، ص٣٠٥ ٠

الاستيلاء على ما كان في الميناء من مراكب مشحونة بالسلع وكانت تتأهب للإقلاع من الميناء([1]).

وبعد ذلك أدرك الحسن بن على أنه لا قبل له بالقوات النورماندية القوية، فليس لديه من القوات ما يكفي للدفاع عن بلاده، لذا اضطر إلى عقد اتفاق مع النورمان([2]) غير أن هذا الاتفاق لم يمنع روجر الثاني من الهجوم على المدن الساحلية في المغرب الأدني، وقد شهدت الفترة التي تقع بين سنتي ٥٣٦هـ/١١٤١م و٥٤١هـ/١١٤٦م نشاطا ملحوظاً للقوات النورماندية على سواحل إفريقية، غير أن هذا النشاط لم يكن موجهاً هذه المرة إلى بني زيرى بل إلى مواليهم السابقين الذين ثاروا عليهم ، ففي أواخر سنة ٥٣٧هـ/١١٤٢م هاجم روجر الثاني مدينة طرابلس وحاصرها بأسطوله، ولكنه لم يتمكن من الاستيلاء عليها لحصانتها وبسالة أهلها في الدفاع عنها، واستمر الحصار مدة من الزمن دون جدوى ، ففر من بقي من النورمان إلى سفنهم تاركين خلفهم الأسلحة، والأثقال حتى وصلوا إلى صقلية([3]) .

([1])التيجاني: المصدر السابق، ص٣٤٠، ابن عذارى: المصدر السابق، ج١، ص٤١٤ .

([2])ابن أبي دينار: مصدر سابق، ص٩١

([3])ابن عذارى: مصدر سابق، ج١، ص٤١٤، ابن الأثير: مصدر سابق، ج١١، ص٩١،٩٢.

ولما عادت السفن النورماندية إلى صقلية، مكث روجر الثاني بعض الوقت، وأخذ يعيد حساباته ويجدد أسلحته، ثم أعاد الكرة مرة أخرى، وخرج على رأس أسطول كبير استولى به على مدينة جيجل(١) ٠ وأعمل في أهلها القتل والسلب والنهب (٢) وفي السنة نفسها أغار الأسطول النورماندي على مدينة برشك(٣) واستولى عليها(٤) ٠ وفي سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م هجم الأسطول النورماندي على جزيرة قرقنه(٥) ، وسبي أهلها وباعهم في جزيرة صقلية(٦) ٠

وقد احتج الحسن بن على الزيرى على هذا العدوان المتكرر من جانب النورمان، ولكن روجر الثاني أجابه إجابة مطمئنة ، وقال له: أن الأسطول

---

(١)مدينة جيجل: مدينة قديمة بالمغرب بينها وبين بجاية خمسون ميلا، لها مرسيان أحدهما في الجنوب، صعب الدخول إليه، والآخر في الشمال ساكن الحركة، انظر الإدريسى: مصدر سابق، ج١، ص٢٦٨، الحميرى: مصدر سابق، ص١٨٤

(٢)ابن الأثير: مصدر سابق، ج١١، ص٩٢، الحميرى: المصدر السابق، ص١٨٤، الإدريسى: المصدر السابق، ج١، ص٢٦٨

(٣)مدينة برشك: مدينة تقع على ضفة البحر المتوسط بين شرشل وتنس بينها وبين تنس ستة وثلاثون ميلا، انظر: الإدريسى: مصدر سابق، ج١، ص٢٥٧، الحميرى: مصدر سابق، ص٨٨

(٤)ابن الأثير: مصدر سابق، ج١١، ص٩٩، الإدريسى: المصدر السابق، ج١، ص٢٥٧، ٢٥٨

(٥)جزيرة قرقنه: جزيرة في البحر المتوسط أمام مدينة صفاقس، انظر: الحميرى: المصدر السابق، ص٤٦١، التيجاني: مصدر سابق، ص٦٧

(٦)الهادي إدريس مرجع سابق، ج١ ، ص٤١٠

النورماندي يريد مهاجمة المدن المتمردة على حكم بني زيرى، لـــذا ســكت الحسن بن على واقتنع بهذا العذر([1]) ٠

وفي سنة ٥٤١هـــ/١١٤٦م تجددت مهاجمة النورمان لمدينة طرابلس بقوات وأسطول ضخم بقيادة جرجي الإنطاكي، وحاصرها برا وبحرا حتـــى استولى عليها في السادس من شهر المحرم سنة ٥٤١هـــ/١١٤٦م([2]) ٠ وفي السنة التالية تعرضت قابس لهجوم بحري من جانب النورمان، إلا أنهم لـــم يتمكنوا من الاستيلاء عليها([3]) ويعلل بعض المؤرخين سبب فشل هذه الحملة بضعف الأسطول النورماندي الذي كان أكبر قسم منه بصـــدد القتـــال ضـــد الإمبراطورية البيزنطية في الشرق([4]) ٠

وفي أثناء تردد النورمان بين صقلية وإفريقية، أدرك روجر الثاني أن الوقت قد حان للانقضاض على المهدية والاستيلاء عليها وخاصة الظـــروف كانت ملائمة له للقيام بعملية عسكرية واسعة النطاق في إفريقية، حيث كـــان التوازن بين القوى البيزنطية والنورماندية في صالحه، وبما يسمح له بالقيام بتلك العملية دون أن يعرض مشاريعه المقبلة في الناحية الشرقية للخطـــر([5])

([1])ابن الأثير: مصدر سابق، ج١١، ص١٠٤

([2])ابن خلدون: مصدر سابق، ج٦، ص٣٤٣، ابـــن الأثيـــر: المصـــدر الســـابق، ج١١، ص١٠٨، النويرى: مصدر سابق، ج٢٤، ص٢٤٦، ٢٤٧، التيجاني: مصدر ســـابق، ص٢٤١ ، ابن خلكان: مصدر سابق، ج٦، ص٣١٧ ٠

([3])التيجاني: المصدر السابق، ص١٠٠، ابن الأثير : المصدر الســـابق، ج١١، ص١٢٠، ابن خلدون: المصدر السابق، ج٦، ص٣٤٢

([4])الهادي إدريس: مرجع سابق، ج٢، ص٤١٥

([5])الهادي إدريس: مرجع سابق، ج٢، ص٤١٥

كما أن المجاعة والقحط والغلاء كانت تجتاح إفريقية وامتدت إلى سائر بلاد المغرب([1]) .

لذا انتهز روجر الثاني هذه الفرصة، وأرسل أسطولا ضخما بقيادة أمير البحر جرجي الإنطاكي، تمكن به من الاستيلاء على المهدية دون مقاومة تذكر في الثاني من شهر صفر عام ٥٤٣هـ/١١٤٨م([2]) .

أما الحسن بن على (صاحب المهدية) فلم يجد بداً من الهرب، فسار هو وأهله وأولاده إلى محرز بن زياد صاحب المعلقة ([3]). ومن عنده سار إلى يحيى بن العزيز صاحب بجاية الذي أرسل به إلى جزائر بني مزغنه، ووكل به من يمنعه التصرف، وظل الحسن بن على (صاحب المهدية) على هذا الوضع حتى افتتح الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن على بجاية سنة ٥٤٧هـ/١١٥٢م، فأكرمه وقربه إليه، ثم حمله معه إلى مراكش([4]) .

([1])ابن الأثير: مصدر سابق، ج١١، ص١٢٥، التيجاني: مصدر سابق، ص٣٤٠، النويرى: مصدر سابق، ج٢٤، ص٢٤٧

([2])عن استيلاء النورمان على المهدية، انظر: الإدريسى: مصدر سابق، ج١، ص٢٨٢، ابن خلدون: مصدر سابق، ج٦، ص٣٣١، ٣٣٢، التيجاني:مصدر سابق، ص٣٤٠، ٣٤١، ابن الأثير: مصدر سابق، ج١١، ص١٢٥، ١٢٧، الهادي إدريس: مرجع سابق، ج٢، ص٤١٥، ٤١٩ .

([3])المعلقة: قلعة حصينة تجاور إفريقية. انظر: ابن خلكان: مصدر سابق، ج٦، ص٢١٧

([4])ابن خلدون: مصدر سابق، ج٦، ص٣٣٢، ٣٣٣، التيجاني: مصدر سابق، ص٣٤٢، ٣٤٣، ابن الأثير: مصدر سابق، ج١١، ص١٢٨، النويرى: مصدر سابق، ج٢٤، ص٢٥١، ٢٥٢، ابن خلكان: المصدر السابق، ص٢١٧، ٢١٨، ياقوت: مصدر سابق، ج١، ص٢٣١، السلاوى: مصدر سابق، ج١، ص١٥٤، القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق نبيل خالد الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٧م، ج٥، ص١٢٥ .

وبعدِ أن استولى روجر الثاني على المهدية اتخذها قاعدة لتحركـــاتهم الحربية في شمالي إفريقية، وشن الغارات على ما يليها من البلاد. فبعد مدة قصيرة من استقراره في المهدية سير أسطولين أحدهما إلى مدينة سوسة التي استولى عليها في الثاني من شهر صفر سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م بدون مقاومة تذكر، أما الأخر فسار به نحو مدينة صفاقس التي استولى عليها هي الأخرى بعد مقاومة عنيفة من جانب أهلها وحلفائهم العرب الهلالية ، وذلك في الثالث والعشرين من شهر صفر سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م(١) .

من هذا يتضح لنا أن روجر الثاني (٤٩٤- ٥٤٨هـ/١١٠٠-١١٥٣م) أصبح يسيطر على جميع سواحل إفريقية من طرابلس حتى ضواحي تونس، فكان على الموحدين تخليص هذه البلاد من قبضة النورمان وتوحيد المغرب الإسلامي تحت رايتهم.

موقف الموحدين من استيلاء النورمان على المغرب الأدنى:

بعد أن قضى الخليفة عبد المؤمن بن على (٥٢٤-٥٥٨هـ/١١٢٩-١١٦٣م)على الدولة المرابطية في المغرب الأقصى والأندلس، كان من الطبيعي أن يفكر في تخليص إفريقية من الوضع السيئ الذي آلت إليه، بسبب دخول العرب الوافدين عليها من مصر، وتدخل النورمان الذين استولوا على بعض نواحيها وأصبحوا قاب قوسين أو أدنى من مملكة بني حماد. وقد استغاث المسلمون في هذه الثغور بالخليفة عبد المؤمن بن على، ولم يكن

---

(١)ابن خلدون:مصدر سابق، ج٦، ص٣٣٢، التيجاني: مصدر سابق، ص٧٤، ٧٥، ابن الأثير: مصدر سابق، ج١١، ص١٢٨، النويرى: مصدر سابق، ج٢٤، ص٢٤٩، ٢٥٠، عنان: مرجع سابق، ق١، ص٢٩١، الهادي إدريس: مرجع سابق، ج٢، ص٤١٦

هناك من سبيل إلى إنقاذ هذه الثغور من يد النورمان دون الاستيلاء على مملكة بني حماد التي تفصل الدولة الموحدية عن إفريقية التي أستأسد بها النورمان([1]) كما أن الخليفة عبد المؤمن بن على خاف أن تمتد سيطرة ملك صقلية على بونة وبجاية لضعف حكامها من بني حماد مما يشكل خطرا على الموحدين في المغرب الأقصى، لذلك رأى أنه من الضروري أن يضم بجاية إلى المغرب الأقصى.

١ــ استيلاء الموحدين على مملكة بني حماد:

بعد أن استقرت الأحوال لعبد المؤمن بن على خرج في أواخر سنة ٥٤٦هـ/١١٥١م من مراكش إلى سلا([2]) فأقام بها شهرين. لكي يضلل أعداءه، فيما يتجه إليه لذا أذن للوفود الأندلسية التي كانت قد طلبت الإذن في لقائه بأن تقدم إليه لتقابله بمدينة سلا، وبعد أيام قليلة اتجه إلى مدينة سبتة موهما أنه سيعبر البحر إلى الأندلس والناس يعلنون ذلك، فأقام بها مدة من الزمن عمر خلالها أسطوله وجمع عساكره وطلب منهم أن يكونوا على أهبة

([1])عبد الله علام: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن على، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨م، ص٢٠٢، ٢٠٣، أحمد الحفناوى: صفحات من تاريخ المرابطين والموحدين، الجهاز المركزي للكتب الجامعية ١٩٧٩م، ص١٦٨، ١٦٩، الهادي إدريس: مرجع سابق، ج٢، ص٤٢٥، عنان: عصر المرابطين والموحدين، القاهرة ، ط١، ١٩٦٤م، القسم الأول، ص٢٧٩، ٢٨٠

([2])سلا: مدينة على ساحل البحر المحيط بالمغرب الأقصى، يحيط بها البحر من الشمال والجنوب، ويقع غربها نهر تجرى فيه السفن، كانت تعرف في القديم باسم شاله، وهي مركز من مراكز التجارة الهامة، انظر: الإدريسى: مصدر سابق، ج١، ص٢٣٩، ياقوت: مصدر سابق، ج٣، ص٢٣٢ .

الاستعداد في أي وقت (١) ، وقد أحاط خبر حملته بسرية تامة ومنع السفر إلى بعض بلاد المغرب الأقصى، ووضع أمناء على الطريق لتحقيق هذا الغرض(٢) ٠

وفي شهر صفر عام ٥٤٧هـ/١١٥٢م، خرج الخليفة عبد المؤمن بن على من مدينة سبتة يعاونه قائد البحر أبي عبد الله بن ميمون بأسطوله في البحر، واتجه فجأة بجيشه وأسطوله صوب الشرق، واستولى في طريقه على جزائر بني مرغنه التي فر حاكمها القائم بن يحيى إلى بجايه، وأبلغ أباه يحيى بن العزيز(٥٠٠- ٥٤٧هـ/١١٠٦- ١١٥٢م) بما حدث(٣) ثم تقدم إلى بجاية فاستولى عليها دون قتال في شهر ذي القعدة سنة ٥٤٧هـ/١١٥٢م(٤) ٠ وعندما رأى يحيى بن العزيز بأنه لا طاقة له بدفع القوم عن مملكته خرج فارا إلى بونة ومنها إلى قُسَنْطِينه(٥)٠ أما قلعة بني حماد فقد استولى عليها

---

(١)مجهول: الحلل الموشية في الأخبار المراكشية، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٦م، ص١٤٨، السلاوى: مصدر سابق، ج١، ص١٤٨، ابن الأثير: مصدر سابق، ج١١، ص١٥٩، النويرى: مصدر سابق، ج٢٤، ص٣٠٢، عبد الله علام: مرجع سابق، ص٢٠٤

(٢)ابن الأثير: المصدر السابق، ج١١، ص١٥٩، النويرى: المصدر السابق، ج٢٤، ص٣٠٢، البيذق: أخبار المهدى بن تومرت، دار المنصور للطباعة، الرباط، ١٩٧١م، ص١٠٦

(٣)ابن خلدون: مصدر سابق، ج٦، ص٣٦٣، السلاوى: مصدر سابق، ج١، ص١٤٨

(٤)البيذق: مصدر سابق، ص١٠٧، ابن الأثير: مصدر سابق، ج١١، ص١٥٩

(٥)ابن خلدون: مصدر سابق: ص٣٦٤، ابن الأثير: مصدر سابق، ج١١، ص١٥٩، النويرى: مصدر سابق، ص٣٠٣، عبد الله علام : مرجع سابق، ص٢٠٤، ٢٠٥ ٠وقُسَنْطِينة: مدينة قديمة من أشهر بلاد إفريقية تقع بين تيجس وميلة، بينها و ين بجاية ستة أيام، وهي كثيرة الخصب، وبها أسواق وتجارة، وأهلها مياسير، وهي=

الموحدون عنوة. وقد كانت معقل صنهاجة الأعظم، وحرزهم الأمنع بها نشأ ملكهم ، ومنها انبعث أمرهم([1]) .

ثم سار الخليفة عبد المؤمن بن على إلى قُسَنْطِينة فحاصرها حتى اضطر يحيى بن العزيز إلى طلب الأمان، فأمنه ونقله إلى المغرب الأقصى وأجرى عليه الأرزاق، وبذلك انقرضت دولة بني حماد ([2]).

ولما ملك عبد المؤمن بن على بجاية والقلعة وأعمالها رتب من الموحدين من يقوم بحماية تلك البلاد والدفاع عنها، واستعمل عليها ابنه عبد الله بن عبد المؤمن، وكلفه بشن الغارات على إفريقية وأن يضيق عليها ويمنع عنها المرافق التي تصل إليها عن طريقه، ثم عاد إلى مراكش سنة ٥٤٨هـ/١١٥٣م ([3]) .

وقد انتهز روجر الثاني (٤٩٤- ٥٤٨هـ/١١٠٠- ١١٥٣م) فرصة عودة الخليفة عبد المؤمن بن على إلى مراكش بعد حملته على بجاية وسير أسطولا بقيادة فليب المهدى ([4]) إلى مدينة بونة فحاصرها، وتمكن بمساعدة

=خصبة في غاية المنعة والحصانة. لمزيد من التفاصيل. أنظر: الحميرى:مصدر سابق، ص٤٨٠، ٤٨١، مجهول: الاستبصار، ص١٦٥، ١٦٦، البكرى: مصدر سابق، ص٦٣

([1]) ابن خلدون: المصدر السابق، ج٦، ص٦٤، المراكشي مصدر سابق/ ص١٧٤

(٢) ابن خلدون: مصدر سابق، ص٦٤، ابن الأثير: مصدر سابق، ج١١، ص١٥٩، النويرى: مصدر سابق، ص٣٠٤، السلاوى: مصدر سابق، ج١، ص١٤٨، ١٤٩

(٣)المراكشي: مصدر سابق، ص١٧٥، ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص١٩٤ .

([4])هو الذي تولى قيادة الأسطول الصقلي بعد وفاة جرجي الأنطاكي سنة ٥٤٦هـ/١١٥١م، وسمى بهذا الاسم نسبة إلى المهدية التي ولد فيها، أو أن أبويه من أهل تلك المدينة، انظر: الهادي إدريس: مرجع سابق، ج٢، ص٤١٧ .

العرب من الاستيلاء عليها في شهر رجب ٥٤٨هـ/١١٥٣م ، وسبى أهلها وملك ما فيها، غير أنه ترك جماعة من العلماء والفقهاء يخرجون بأهليهم وأموالهم إلى القرى المجاورة، ولذلك اتهمه بعض خصومه بأنه مسلم هو ورفاقه، فغضب روجر الثاني وحكم عليه بالموت حرقا في شهر رمضان ٥٤٨هـ/١١٥٣م(١) ٠

وبعد ذلك بقليل توفى روجر الثاني عن عمر يناهز الثمانين عاما في العشر الأول من شهر ذي الحجة عام ٥٤٨هـ/١١٥٣م، فخلفه في الملك ابنه وليم أو غليالم (٢) أو غليم كما يسميه ابن خلكان (٣) ٠

غير أن وليم بن روجر(٥٤٨- ٥٦٠هـ/١.١٥٣- ١١٦٤م) لم يكن يتمتع بكثير من مقدرة أبيه وحزمه ، فلم تلبث أن اضطربت شئون المملكة وثارت عليه بعض النواحي، وكان لذلك أثره في تطور الأحداث في إفريقية، فما كاد أهل الثغور الإسلامية يشعرون باضطراب الأحوال في صقلية حتى بادروا بإعلان الخلاف ونبذ طاعة النورمان (٤) ٠

---

(١)ابن خلدون: مصدر سابق، ج٦، ص٣٦٤، ابن الأثير: مصدر سابق، ج١١، ص١٨٧، الإدريسى: مصدر سابق، ج١، ص٢٩١، الهادي روجي إدريس: مرجع سابق، ج٢، ص٤١٧، عنان: مرجع سابق، القسم الأول: ص٢٩٢

(٢)ابن الأثير: المصدر السابق، ص١٨٧، علام: مرجع سابق، ص٢٠٧، عنان: المرجع السابق، ص٢٩٣ ٠

(٣)وفيات الأعيان، ج٦، ص٢١٩ ٠

(٤)التيجاني: مصدر سابق، ص٧٥، علام: مرجع سابق، ص٢٠٧، عنان: مرجع - ابق، القسم الأول، ص٢٩٣ ٠

وكان أول من ثار منهم أهل جزيرة جربة سنة ٥٥١هـ/١١٥٦م ثم تلتها مدينة صفاقس بزعامة واليها عمر بن أبي الحسن القرباني، وكانت انتفاضة صفاقس على النورمان سببا في انتفاضة سائر بلاد الساحل وزوالها من أيديهم حتى لم يبق بيد النورمان من ثغور إفريقية سوى مدينة سوسة والمهدية(١) .

وباستيلاء الخليفة عبد المؤمن بن على على مملكة بني حماد عام٥٤٧هـ/١١٥٢م، اتسعت إمبراطوريته لتشمل كل المغرب الأوسط بالإضافة إلى المغرب الأقصى، وباندلاع الثورات ضد النورمان في إفريقية أصبح الطريق ممهدا أمامه لخوض معركة الجهاد الكبري ضد النورمان في المغرب الأدنى.

استيلاء الموحدين على المغرب الأدنى:

بعد استيلاء النورمان على المهدية عاصمة بني زيرى عام ٥٤٣هـ /١١٤٨ م ، فر الحسن بن على أخر أمراء بني زيرى إلى المغرب الأوسط كما سبق القول، وظل فيه حتى استيلاء الخليفة عبد المؤمن بن على على جزائر بني مزغنة أثناء حملته على المغرب الأوسط سنة ٥٤٧هـ/ ١١٥٣م. فخرج إليه الحسن بن على وبايعه فحمله الخليفة إلى مراكش وظل معه إلى سنة ٥٥٣هـ/١١٥٨م(٢).

---

(١)التيجاني: مصدر سابق، ص٧٥، علام: المرجع السابق، ص٢٠٧، عنان: المرجع السابق، ص٢٩٣

(٢)ابن خلدون:مصدر سابق، ص٣٣٢، ٣٣٣، التيجاني: مصدر سابق، ص٣٤٢، ٣٤٣، ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص١٩٧، ١٩٨، السلاوى: مصدر ، ج١، ص١٤٨، ١٥٤، ابن الأثير: مصدر سابق، ج١١، ص١٢٨ .

وفي خلال إقامة الحسن بن على بمراكش كان يغري الخليفة عبدالمؤمن ابن على على إنقاذ إفريقية من يد النورمان وإعادة ملكه المسلوب (١) كما أن الخليفة عبد المؤمن بن على الذي استولى على المغرب، الأوسط واتسعت رقعة دولته، كان من غير شك يُعد العدة للاستيلاء على المغرب الأدنى ويرغب فيه أيضاً، غير أنه كان ينتظر الفرصة المناسبة للتحقيق ذلك، وقد أتته هذه الفرصة عندما تمكن جماعة من أهل زويلة من الفرار من المذبحة البشعة التي دبرها لهم النورمان بعد اندلاع الثورات ضدهم في إفريقية وقدموا على الخليفة بمراكش يستغيثونه ويستنصرونه على العدو قائلين له "أنه ليس في ملوك الإسلام من يقصد سواه، ولا يكشف هذا الكرب غيره، فدمعت عيناه، وأطرق ثم رفع رأسه وقال: "أبشروا لانصرنكم ولو بعد حين وأمر بإنزالهم وأطلق لهم ألفى دينار" (٢) .

عند ذلك عزم على احتلال إفريقية، وأمر قواده بالمغرب بإعداد العدة لذلك (٣) . ولكنه أراد أن يستطلع أحوال إفريقية وقوتها، والمجاورين لها من الأعراب قبل أن يفتحها، فأرسل عبد الله بن سليمان في قطع من أسطول سبته في سنة ٥٥١هـ/١١٥٦م (٤) ، وبعد ذلك بعام هجم عبد الله بن عبد المؤمن في جيش عظيم من المصامدة والأعراب وغيرهم على ولاية إفريقية غير أنه منيى بهزيمة ساحقة على يد حاكمها من قبل النورمان عبد الله بن

---

(١)الحميرى: مصدر سابق، ص٥٦٢، السلاوى: المصدر السابق، ج١، ص١٥٤ .

(٢)السلاوى: مصدر سابق، ج١، ص١٥٤، ابن الأثير: مصدر سابق، ج١١، ص٢٤١، النويرى: مصدر سابق، ص٣١٠، عبد الهادي التازى: الموجز في العلاقات المغربية، المغرب، ط١، ١٩٨٤م، ص٤٨، علام: مرجع سابق، ص٢٠٨

(٣)السلاوى: المصدر السابق، ج١، ص١٥ .

(٤)ابن عذارى: مصدر سابق، ج١، ص٢١٦ .

خراسان سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م، وعاد عبد الله بن عبد المؤمن مع من تبقى من جنوده إلى بجاية، وأخبر أباه بهزيمته في إفريقية (١) .

فكان على الخليفة عبد المؤمن بن على أن ينتقم لما حل بجيشه في إفريقية فأخذ يعد العدة لذلك. وفي شهر شوال سنة ٥٥٣هـ/١١٥٨م ، غادر مدينة مراكش حتى وصل إلى مدينة سلا (٢) وفي خلال إقامته بها أرسل وزيره عبد السلام بن محمد الكومي في قطعة بحرية من أسطوله إلى جزيرة الأندلس ليستطلع أحوالها ويبلغ أوامره للولاه، فوصل إلى أشبيليه، ثم قرطبة، ثم غرناطة ، ثم عاد إلى أمير المؤمنين بمدينة سلا (٣).

وفي ذلك الوقت أيضا وفدت على أمير المؤمنين جموع غفيرة من مختلف القبائل انضمت إلى جيشه فاطمأنت بذلك نفسه واستقرت له الأحوال، فاستخلف على المغرب الأقصى الشيخ أبا حفص يحيى الهنتاني، وعقد ليوسف بن سليمان على مدينة فاس. ثم خرج بجيشه وأسطوله في شهر صفر سنة ٥٥٤هـ/١١٥٩م، صوب الشرق قاصدا إفريقية ليخلصها من النورمان الذين حاولوا أن يخلقوا جوا من العداء بين أهلها وبين الخليفة عبد المؤمن بن على (٤).

---

(١)المراكش: مصدر سابق، ص١٩٢، ابن عذارى: المصدر السابق، ج١، ص٢١٦ ، الهادي إدريس: مرجع سابق، ج٢، ص٤٣٩ .

(٢)ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، تحقيق: عبد الهادى التازى، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط٣، ١٩٨٧م، ص١١٢، ١١٣ ، ابن خلدون: مصدر سابق، ج٦، ص٤٩٣ ، علام: مرجع سابق، ص٢٠٨

(٣)ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص١١٣ .

(٤)ابن خلدون: المصدر السابق، ج٦، ص٤٩٤، ابن الأثير: مصدر سابق، ج١١، ص٢٤٢، النويرى: مصدر سابق، ص٣١١، ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص٦٥، هامش٣، السلاوى: مصدر سابق، ج١، ص١٥٥ .

وقبل وصوله إلى إفريقية أرسل إلى أهلها بالأمان والعفو لحثهم على تسليم المدينة إليه (١). ويبدو أنه كان يرغب في إعلامهم بأنه لا يضمر لهم أي ضغينة من أجل الهزيمة التي ألحقوها بابنه قبل ذلك بسنتين، فلم يجيبوه إلى مطلبه وهو تسليم المدينة، فسار حتى وصل إفريقية في الرابع والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة ٥٥٤هـ/١١٥٩م(٢) بينما يحدد التيجاني وصول الجيش والأسطول إلى إفريقية في العاشر من شهر جمادى الأولى من السنة نفسها(٣) ويبدو من التاريخ الذي حدده التيجاني أن المدينة ظلت تحت الحصار أكثر من شهر ونصف ثم دخلتها الجيوش الموحدية في التاريخ الذي حدده ابن الأثير ومن تبعه.

وأيما كان الأمر فقد وصل عبد المؤمن بن على إلى إفريقية بجيشه وأسطوله الذي كان يتكون من سبعين شينيا وطريده وشلندي (٤) ، بقيادة محمد بن عبد العزيز بن ميمون، وابن الخراط ، وأبو الحسن الشاطبي وغيرهم ممن كانوا مثلهم في الشهرة والمعرفة (٥) .

---

(١)التيجاني: مصدر سابق، ص٣٤٥ .

(٢)ابن الأثير: مصدر سابق، ج١١، ص٢٤٢، السلاوى: مصدر سابق، ج١، ص١٥٥، النويرى: مصدر سابق، ص٣١١، علام : مرجع سابق، ص٢٠٨، الهادي إدريس: مرجع سابق، ج٢، ص٤٥١ .

(٣)رحلة التيجاني: مصدر سابق، ج١١، ص٢٤٢، النويرى: مصدر سابق، ص٣١١، السلاوى: مصدر سابق، ج١، ص١٥٥ .

(٤)ابن الأثير: مصدر سابق، ج١١، ص٢٤٢، النويرى: مصدر سابق، ص٣١١، السلاوى: مصدر سابق، ج١، ص١٥٥ .

(٥)التيجاني: مصدر سابق، ص٣٤٧ .

وطلب من أهل إفريقية الدخول في طاعته صلحا فابو وقاتلوا أشد القتال فما زال بها حتى دخلها عنوة، وأمنهم على أنفسهم وأولادهم لا في أموالهم.(١)

ثم غادر إفريقية واتجه إلى المهدية لمناجزة النورمان، واستخلف على إفريقية وزيره أبا محمد عبد السلام الكومي، ومعه أشياخ من الموحدين لاستخلاص الأموال من أهلها (٢) ، فوصل إليها بجيوشه وأساطيله في شهر رجب سنة ٥٥٤هـ/١١٤٩م فحاصرها برا وبحرا (٣) .

غير أن المهدية لم تكن مدينة يسيرة المنال، إذ كانت تضم بين جناحيها حامية فرنجية قوية، كما كان يسكنها الكثير من أشراف النصارى وفرسانهم، بالإضافة إلى حصانتها الطبيعية، فالبحر يحيط بأكثرها فكأنها كف في البحر وزندها متصل بالبر (٤) هذا علاوة عن أسوارها التي كانت غاية في المتانة والقوة وعن حصانة أسوارها يقول المَرّاكشي: "هي (أي المهدية) من معاقل المغرب المنيعة لأن بنيانها في غاية الإحكام والوثاقة ، بلغني أن عرض حائط سورها ممشى ستة أفراس في صف واحد، ولا طريق لها من البر إلا من باب واحد، والبحر في قبضة من في البلد، يدخل الشيني كما هو بمقاتلته إلى داخل دار الصناعة لا يقدر أحد ممن في البر على منعه، فبهذا قدر الروم

---

(١)ابن الأثير: مصدر سابق، ج١١، ص٢٤٢، النويرى: مصدر سابق، ص٣١١، ٣١٢، علام: مرجع ساق، ص٢٠٨، ٢٠٩

(٢)التيجاني: مصدر سابق، ص٣٤٦ .

(٣)ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص١٩٨ .

(٤)الحميرى: مصدر سابق، ص٥٦١، السلاوى: مصدر سابق، ج١، ص١٥٥، النويرى: المصدر السابق، ج٢٤، ص٣١٢، ابن الأثير: مصدر سابق، ج١١، ص٢٤٣ .

على الصبر على الحصار لأن النجدة كانت تأتيهم من صقلية في كل وقت "كما كان بها من الأقوات والمعدات الشيء الكثير (١) ٠

وعندما شعر النورمان باقتراب الموحدين من المهدية أخلوا مدينة زويلة المجاورة للمهدية فدخلها عبد المؤمن بن على، وامتلأت بالعساكر فصارت مدينة معمورة في ساعة واحدة، وابتدأ الموحدون ينازعون النورمان بالمهدية ويحاولون اقتحامها على غير طائل لشدة مناعتها، وقوة حصانتها، وضيق مجال القتال عليها، كما كان النورمان يخرجون بين الحين والآخر لقتال الموحدين فينالون منهم ويعودون سريعا إلى مدينتهم متحصنين بها، ولذلك أمر عبد المؤمن بن على ببناء سور غربي المدينة يمنعهم من الخروج كما أمر قائد أسطوله بتطويق المدينة من البحر(٢) ٠

والجدير بالذكر أن الخليفة عبد المؤمن بن على عندما رأى ما تتمتع به المهدية من قوة ومتانة قرر معاينتها قبل اقتحامها لكي يقرر ما يصلح لها من طرق القتال، لذلك ركب شينيا ومعه الحسن بن على الذي كان صاحبها وطاف بها من البحر، فهاله ما رأى من حصانتها، وعند ذلك قرر أنها لا تفتح بقتال برا ولا بحرا وليس لها إلا مطاولة الحصار(٣) ٠

---

(١)المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص١٩٣

(٢)التيجاني: مصدر سابق، ص٣٤٧، ٣٤٨، السلاوى: مصدر سابق، ج١، ص١٥٥، ابن الأثير: مصدر سابق، ج١١، ص٢٤٣، النويرى: مصدر سابق، ص٣١٢، علام: مرجع سابق، ص٢٠٩

(٣)التيجاني: مصدر سابق، ص٣٤٨، ابن الأثير: مصدر سابق، ج١١، ص٢٤٣، السلاوى: مصدر سابق، ج١، ص١٥٥، سالم: البحرية في المغرب والأندلس،ج٢، ص٢٥٢، ٢٥٣

ويؤثر عن عبد المؤمن بن على أنه قال للحسن بن على: "ما الذي أخرج هذا المعقل من يدك؟ فقال له: أخرجه انقضاء الأمر وعدم الثقة بأحد " فصدقه عبد المؤمن واستحسن كلامه، وكان الحسن بن على فصيحاً معروفاً بذلك (١) .

ثم أمر عبد المؤمن بن على بجمع الأقوات الضرورية لهذا الحصار الطويل الذي استمر أكثر من ستة أشهر (٢) ويبدو لنا أنه في أثناء هذا الحصار وجه عبد المؤمن بن على جزءاً من جيشه لفتح البلاد والثغور التي لا يزال بها النصارى فاستطاع في مدة قصيرة أن يستولى على جميع بلاد إفريقية من أيدي القائمين عليها(٣) بينما يجعل المراكشي هذا الأمر بعد استيلاء عبد المؤمن على المهدية(٤) .

وقد كان لإخبار فتوحات عبد المؤمن هذه، وطول الحصار على المهدية أثر كبير في زعزعة إيمان النورمان في إمكان بقائهم بالمهدية، وعلى الرغم من ذلك حاول ملك صقلية وليم بن روجر(٥٤٨-٥٦٠هـ/١١٥٣- ١١٦٤م) تخليص المهدية فأرسل إلى أسطوله الذي كان

---

(١)التيجاني: مصدر سابق، ص٣٤٨، ابن الأثير: مصدر سابق، ج١١، ص٢٤٣، السلاوى: مصدر سابق، ج١،ص١٥٥،النويرى:مصدر سابق،ص٣١٢، ٣١٢، الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور ، المكتبة العتيقة، تونس، ط٢، ١٩٦٦م، ص١١ .

(٢)ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص١٩٨، السلاوى: المصدر السابق، ج١، ص١٥٥ .

(٣)السلاوى: المصدر السابق، ج١، ص١٥٥، الزركشى: المصدر السابق، ص٨، ابن الأثير: المصدر السابق، نفس الصفحة، النويرى: المصدر السابق، ص٣١٣، علام: مرجع سابق، ص٢٠٩ .

(٤)المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص١٩٣ .

في مهمة في جزيرة يابسة (١) بشرق الأندلس بقيادة الخصى بيدور، فلما كان يوم الاثنين الثاني والعشرين من شهر شعبان سنة ٥٥٤هـ/السابع من شهر سبتمبر سنة ١١٥٩م، جاء أسطول صقلية في مائة وخمسين شينيا غير الطرائد (٢) ، فلما بدت طلائع هذا الأسطول تظهر في الأفق، حضر أمير البحر أبي عبد الله بن ميمون قائد الأسطول الموحدى بين يدي الخليفة وقال له "إن هذا الأسطول قد أقبل ولا يصل إلا متفرقا بحكم النوء فلتأذن انا في الخروج إليه فسكت عبد المؤمن فاغتنموا سكوته، وبادروا إلى السفن فملؤوها بما احتاجوا إليه من العدد (٣) .

فلما اقترب أسطول صقلية من دار الصناعة حطوا شراعهم ليدخلوا الميناء فخرج إليه الأسطول الموحدى بقيادة أبي عبد الله بن ميمون ، وركب معه في السفن جمع غفير من الجند، ووقف الباقون على جانب البحر، فاستعظم الفرنج ما رأوه من كثرة الجند ودخل الرعب والفزع قلوبهم، وبقي عبد المؤمن يمرغ وجهه على الأرض ويبكي، ويدعو للمسلمين بالنصر، ويقول: "اللهم لا تضعضع دعائم الإسلام" (٤) .

ونشبت بين الموحدين والنورمان معركة بحرية حامية الوطيس، لم تفد فيها براعة النورمان في البحر شيئا، وأحرز الموحدون عليهم نصرا باهرا، وأحرقوا جانبا من سفنهم، واستولوا منهم على سبع شواني أو ثماني شواني،

---

(١)إحدى جزائر شرق الأندلس، انظر: الحميرى: مصدر سابق، ص٦١٦ .

(٢)ابن الأثير: مصدر سابق، ج١١، ص٢٤٤، السلاوى: مصدر سابق، ج١، ص١٥٥، سالم: البحرية في المغرب، ج٢، ص٢٥٣ .

(٣)التيجاني: مصدر سابق، ص٣٤٨، سالم: البحرية في المغرب والأندلس ج٢، ص٢٥٣.

(٤)التيجاني: مصدر سابق، ص٣٤٨ .

ولو كان معهم أشرعة لأخذوا أكثرها، وعاد أسطول الموحدين ظافرا منتصرا، فسجد الخليفة عبد المؤمن بن على شكرا لله وفرق في غزاة الأسطول اثنى عشر ألف دينار مؤمنية(١)٠ وكان لهزيمة هذا الأسطول أثر سيء في نفوس النورمان خاصة بعد رؤيتهم لضخامة القوات الموحدية المحاصرة لهم٠

وقد رأى ملك صقلية وليم بن روجر الثاني (٥٤٨- ٥٦٠هـ/ ١١٥٣- ١١٦٤م) في ذلك الوقت عدم التورط في حرب الموحدين لكي يتفرغ لحرب فردريك الأول باباروسا (٥١٦- ٥٨٦هـ/١١٢٢- ١١٩٠م) إمبراطور ألمانيا لذا صمم على ترك المهدية لمصيرها المحتوم (٢)٠

وعلى الرغم من قسوة الحصار وشدته فقد صبر أهلها من النورمان حتى أخر شهر ذي الحجة سنة ٥٥٤هـ/١١٥٩م حتى أكلوا الميتة، وعند ذلك أحست حامية المدينة بأنهم لا أمل لهم في النجاة ، فخرج وفد منهم يطلب الأمان لمن في المهدية من النورمان على أنفسهم وأموالهم فعرض الخليفة عبد المؤمن بن على عليهم الإسلام فقالوا له: "ما جئنا لهذا وإنما جئنا نطلب فضلك" (٣) ٠ ورجوه في استعطاف واسترحام بأن يقوم الأسطول الموحدى

---

(١)التيجاني: المصدر السابق، ص٣٤٨، ٣٤٩، ابن الأثير: مصدر سابق، ج١١، ص٢٤٤، النويرى: مصدر سابق، ج٢٤، ص٣١٣، السلاوى: مصدر سابق، ج١، ص١٥٦، عنان:مرجع سابق، القسم الأول، ص٢٩٦ ، يوسف أشياخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٦م، ج٢،ص٢٤٧ ٠

(٢)سالم: البحرية في المغرب والأندلس ص٢٥٣، ٢٥٤ ٠

(٣)التيجاني: مصدر سابق، ص٣٤٩، السلاوى: مصدر سابق، ج١، ص١٥٦، عبدالهادي التازي: مرجع سابق، ص٤٨ ٠

بنقلهم إلى بلادهم مقابل التخلي لهم عن المدينة فأجابهم إلى طلبهم(١) ٠ إنسانية منه وتسامحا، وأعد سفنا لنقلهم إلى صقلية، وكان الفصل شتاء، فلما قربت السفن الموحدية من المياه الإقليمية الصقلية هبت عليهم ريح عاتية فهلك أكثرهم ولم يصل منهم إلى صقلية إلا القليل(٢) ٠

لقد أحسن الخليفة عبد المؤمن بن على صنعا باتخاذه هذا الإجراء المقرون بالكياسة والحكمة وبعد النظر لأن ملك صقلية وليم بن روجر كان قد أنذر بقتل المسلمين في جزيرة صقلية إذا تعرض النورمان في المهدية للقتل على أيدي الموحدين(٣) ٠

ودخل الخليفة عبد المؤمن بن على مدينة المهدية دخول الفاتحين المنتصرين في يوم عاشوراء من شهر المحرم عام ٥٥٥هـ/٢١ يناير ١١٦٠م بعد حصار دام أكثر من ستة أشهر، وبعد احتلال دام اثنى عشر عاما من جانب النورمان، وقد سميت هذه السنة سنة الأخماس (٤)٠

---

(١)المراكش:مصدر سابق، ص١٩٣، ابن الأثير: مصدر سابق، ج١، ص٢٤٤، النويرى: مصدر سابق، ج٢٤، ص٣١٣ ٠

(٢)التيجاني: مصدر سابق، ص٣٤٩، ابن الأثير: مصدر سابق، ج١١، ص٢٤٥، النويرى: مصدر سابق، ج٢٤، ص٣١٤ ٠

(٣)ابن الأثير: مصدر سابق، ج١١، ص٢٤٥، النويرى: مصدر سابق، ج٢٤، ص٣١٤، عنان: مرجع سابق، القسم الأول، ص٢٩٧، علام: مرجع سابق، ص٢١٠ ٠

(٤)ابن صاحب الصلاة : مصدر سابق، ص٧٠، المراكش: مصدر سابق، ص١٩٣، التيجاني: مصدر سابق، ص٣٤٩، السلاوى: مصدر سابق، ج١، ص١٥٦، ابن خلدون: مصدر سابق، ص٤٩٤، ابن الأثير: المصدر السابق، ج١١، ص٢٤٥، البيذق: أخبار المهدى ص١١٢، ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص١٩٨ ٠وسميت هذه السنة بسنة الأخماس لأن الفتح كان في عام ٥٥٥هـ ٠

ظل الخليفة عبد المؤمن بن على بمدينة المهدية نحو عشرين يوما رتب خلالها أحوالها ونقل إليها الذخائر والأدوات والعدد واستعمل عليها أبا عبد الله محمد بن فرح الكومي، وجعل معه الحسن بن على الصنهاجي الذي كان صاحبها وأمره أن يقتدي برأيه لكونه عارفا بأحوالها وأقطع الحسن بن على إقطاعا وأعطاه دوراً سكنها هو وأولاده، وأتباعه، ثم رحل من المهدية في غرة صفر سنة ٥٥٥هـ/فبراير ١١٦٠م (١) .

ولما فتح الله عليه المهدية ودانت له البلاد التي كانت تحت سيادة النورمان جاءته وفود التهنئة من كل مكان ومدحته الشعراء (٢) ، كما أنشد بهذه المناسبة قصيدة منها:

لما قضينا بالمشارق أمرنـــا وتم مراد الله في كل مطلب

وأشرقت الشمس المنيرة موهنا وأصبح وجه الحق غيرمحجب

وطهر هذا السقع من كل كافر وعاد بها الإسلام بعد تغيب

وكسرت الصلبان في كل بيعة ونادىمنادىالحق فىكل مرقب (٣)

---

(١)ابن الأثير: مصدر سابق، ص٢٤٥، النويرى: مصدر سابق، ص٢١٤، ٢١٥ ، السلاوى: المصدر السابق، ج١، ص١٥٦، التيجاني: المصدر السابق، ص٣٤٩، مجهـــول: الحلـــل الموشية ص١٥٤ .

(٢)ابن صاحب الصلاة: مصدر سابق، ص٧١ .

(٣)انظر: هذه القصيدة في ابن صاحب الصلاة: مصدر سابق، ص٧٣، ٧٤، ابـــن عـــذارى: مصدر سابق، قسم الموحدين، ص٦٤، ٦٥، محمد العروسى المطوى: السلطنة الحفصـــية تاريخها السياسي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٠م، ص٩، ١٠ .

وباستيلاء الخليفة عبد المؤمن بن على على المهدية وغيرها من بلدان الساحل الإفريقي أصبحت كلمة المغرب موحدة وباتت قوته قادرة على مواجهة أطماع النورمان، في صقلية، واتحاد الممالك النصرانية في أسبانيا، وأصبحت إمبراطورية الموحدين تمتد من قرب الحدود المصرية شرقا، إلى المحيط الأطلسي غربا، ومن السوس الأقصى جنوباً حتى مساحة كبيرة من الأندلس شمالا، وفي ذلك يقول المراكشي: "وتم لعبد المؤمن رحمه الله ملك إفريقية منتظماً إلى ملك المغرب، فملك في حياته طرابلس الغرب إلى السوس الأقصى من بلاد الصامدة، وأكثر جزيرة الأندلس، وهي مملكة لم أعلمها انتظمت لاحد قبله منذ اختلت دولة بني أمية إلى وقته" (١) وقريبا من هذا المعنى يقول صاحب الاستبصار: "وكلمة التوحيد والهداية تمتد من طرابلس إلى مدينة غانة" (٢) .

وهكذا فإنه ولأول مرة في تاريخ شمال أفريقيا توحدت تلك البلاد على يد البربر. ولا جدال في أن البحرية المغربية كان لها دور بارز في تحقيق هذا الإنجاز الذي خلد ذكرى الخليفة عبد المؤمن بن على، إذ لولاها ما تمكن الموحدون من القضاء على عدوان النورمان على ثغور إفريقية وتحريرها من النصرانية وردها إلى صولة الإسلام الذي كان قد خرج منها مدة اثني عشر عاما منذ سقطت في أيدي النورمان سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م .

الخليفة عبد المؤمن بن على والعرب الهلالية:

كان الخليفة عبد المؤمن بن على حينما تم له فتح المهدية، وإجلاء النورمان من إفريقية، يتجه بكل جوارحه نحو شئون الأندلس، وكان يعتقد أنه

---

(١)المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص١٩٣، ١٩٤ .

(٢)مجهول: ص١١ .

يستطيع أن يستعين بطوائف العرب الهلالية الموجودة بالمغرب الأدنى، في حملات الجهاد التي يزمع تسيرها إلى الأندلس. وكانت طائفة من بنى سليم، قد اعتدت على مدينة قابس. بعد استيلاء الموحدين عليها، فبعث إليهم يعاتبهم، غير أنهم تمادوا في عدوانهم، وتغلبوا على قابس، فبعث عسكراً لقتالهم وهو بالمهدية ، فهزمهم واستولى على قابس من أيديهم(١) .

وقد فكر الخليفة عبد المؤمن بن على قبل عودته من المغرب الأدنى ، أن يدعو العرب إلى الانتظام في عسكره، لذا جمع زعماء العرب من بنى رياح وغيرهم وحثهم على نصرة الإسلام بالأندلس. وقال لهم: "إنه قد وجب علينا نصرة الإسلام، وان المشركين قد استفحل أمرهم بجزيرة الأندلس، واستونوا على كثير منها مما كان بيد المسلمين، وما يقاتلهم أحد مثلكم، فبكم فتحت البلاد أول الإسلام، وبكم يدفع عنها العدو الآن. ونريد منكم عشرة آلاف فارس من أهل النجدة والشجاعة يجاهدون في سَبيل الله" (٢) . فتظاهروا بالموافقة والطاعة وأقسموا على ذلك، وساروا معه حتى جبل زغوان (٣) ، وكان من بين زعمائهم ، زعيم يدعى يوسف ابن مالك ، فاتصل بعبد المؤمن بالليل وأخبره بأن العرب لا يريدون المسير إلى الأندلس، وأنهم يعتقدون أنه يريد بذلك أن يخرجهم من بلادهم. وقد تحقق

---

(١)عنان: مرجع سابق، ق١، ص٣٠١ .

(٢)النويرى: مصدر سابق، ج٢٤، ص٣١٥ .

(٣)جبل زغوان: جبل عالي بين تونس والقيروان بحذاء جزيرة شريك، وهو مأوى للصالحين، انظر: البكرى: مصدر سابق، ص٤٥، ٤٦ .

صدق ذلك في الليلة التالية، إذ هرب العرب تحت جنح الظلام إلى عشائرهم، ولم يبق سوى يوسف هذا، فسماه عبد المؤمن يوسف الصادق(١) .

وبعد ذلك سار عبد المؤمن في قواته حتى وصل إلى مقربة من قسنطينة ونزل هناك في وادي مخصب يقال له وادي النساء، بعيدا عن أطراف العمران ، واستمر هناك عشرين يوما، والسكينة ترفرف على جيوشه، وقد انصرف العرب إلى أحيائهم التي يحتلونها، فلما علم اباجتماعهم ثانيه في أحيائهم بعث إليهم جيشا من ثلاثين ألف مقاتل بقيادة ولديه أبي عبد الله وأبي محمد. فاشتبكوا مع العرب في معركة عنيفة أنتهت بهزيمة العرب وتفريق جمعهم ومقتل زعيمهم محرز بن زياد، وسقط متاعهم وحريمهم وأولادهم في أيدي الموحدين وذلك في منتصف شهر ربيع الآخر من سنة ٥٥٥هـ /١١٦٠م) (٢) .

وبعد هزيمة العرب أمر الخليفة عبد المؤمن بن على بالتحفظ على الأسرى من النساء والأولاد ورعايتهم، حتى أقبلت وفود العرب من رياح والاثبج في طلب حريمهم فردهن إليهم، وفرق فيهم الأموال والصلات، واستمالهم إلى جانبه، وانتهى به الأمر أن جَهَّز منهم قوة لتشترك في الجهاد في الأندلس(٣).

---

(١)النويرى: مصدر سابق، ص٣١٦، عنان: مرجع سابق، ق١، ص٣٠١ .

(٢)النويرى: المصدر السابق، ج٢٤، ص٣١٦، ٣١٧ .

(٣)النويرى: مصدر سابق، ج٢٤، ص٣١٧ .

وفي شهر ذي القعدة سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م، عبر الخليفة عبد المؤمن ابن على البحر إلى الأندلس، وكان عبوره إليها حادثا هاما من أشهر حوادث العصر، وكانت له نتائج بعيدة المدى (١) .

وفي شهر جمادى الآخرة سنة ٥٥٨هـ/١١٦٣م، توفى أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على (٥٢٤-٥٥٨هـ/١١٢٩- ١١٦٣م)، ودفن بجوار أستاذه محمد بن تومرت (٢). وهكذا مات المجاهد الكبير الذي يعتبره المؤرخون القدامى والمحدثون من أعظم قواد العصور الوسطى، حيث استطاع بشجاعته وحسن تدبره أن يخلق من المغرب الإسلامي قوة موحدة مجاهدة في البر والبحر، وكان على خلفائه المحافظة على وحدة هذه الإمبراطورية المترامية الأطراف.

---

(١)عن جهاد الخليفة عبد المؤمن بن على في الأندلس، انظر: ابن عذارى: مصدر سابق، قسم الموحدين ص٦٩، وما بعدها، ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص٢٠٠ وما بعدها.

(٢)جميع المؤرخين ينفقون في تحديد السنة التي توفى فيها الخليفة عبد المؤمن بن على ولكنهم يختلفون في تحديد يوم الوفاء. انظر: البيذق: أخبار المهدى: ص٦٥، ابن القطان: مصدر سابق، ص٢٠٥، ابن صاحب الصلاة: مصدر سابق، ص١٥٤، ١٥٥، ابن خلدون: مصدر سابق، ج٦، ص٤٩٦، المراكش: مصدر سابق، ص١٩٧، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص٢٠٢، النويرى: المصدر السابق، ص٣١٨، ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص٧٩

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر المطبوعة:

ابن الآبار: (ت٦٥٧هـ/١٢٦٠م) : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي.

١ــ الحلة السيراء: تحقيق د.إحسان عباس ، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨٥م.

ابن الأثير: (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م): أبو الحسن على بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني.

٢ــ الكامل في التاريخ، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٣م.

الإدريسى: (ت٥٥٧هـ/١١٦٢م): أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحموي الحسنى المعروف بالشريف الإدريسى.

٣ــ نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٤م.

الاصطخرى: (ت٣٥٠هـ/٩٦١م): أبو إسحاق إبراهيم بن محمد المعروف بالكرخي.

٤ــ المسالك والممالك،تحقيق: د.محمد جابر عبد العال، مراجعة: محمد شفيق غربال،وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٣٨١هـ/١٩٩١م.

البغدادى: (ت٧٣٩هـ/١٢٣٨م): صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق

٥ــ مراصد الإطلاع على أسماء الإمكنة والبقاع، تحقيق: محمد على البجاوى دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٥٤م..

البكرى: (٤٨٧هـ/١١٠٣م): أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز.

٦ــ المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد، بدون تاريخ.

البيذق: (ت أواخر القرن ٦هـ/١٢م): أبو بكر بن على الصنهاجي.

٧ــ أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين ، دار المنصور للطباعة، الرباط، ١٩٧١م.

التيجاني: (ت ٧١٧هـ/١٣١٧م): أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد.

٨ــ رحلة التيجاني: تقديم حسن حسنى عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس ، ١٩٨١م.

ابن جبير: (٦١٤هـ/١٢١٧م): أبو الحسن محمد بن أحمد.

٩ــ رحلة ابن جبير، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

الحميرى: (ت في القرن ٩هـ/١٥م): محمد عبد الله بن عبد المنعم.

١٠ــ الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: د.إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.

ابن حوقل: (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م): أبو القاسم محمد بن على النصبي.

١١ــ صورة الأرض ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون تاريخ.

ابن الخطيب: (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م)لسان الدين بن الخطيب السلمانى

١٢ــ أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام(تاريخ المغرب في العصر الوسيط) تحقيق أحمد مختار العبادى وآخر، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٦٤م.

ابن خلدون: (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م): عبد الرحمن بن محمد.
١٣ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب اللبناني، ومكتبة المدرسة ١٩٨٣م.
ابن خلكان: (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م): أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد.
١٤ـ وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق د.إحسان عباس، دار صادر بيروت ١٩٧٨م.
ابن أبي دينار: (ت.١١١٠هـ/١٦٩٨م): محمد بن أبي القاسم الرعيني.
١٥ـ المؤنس في أخبار إفريقية وتونس،دار المسيرة،لبنان،ط٣، ١٩٩٣م
ابن أبي زرع: (ت ٧٢٦هـ/١٣٢٥م):على ابن أبي زرع الفاسى.
١٦ـ الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط، ١٩٧٢م.
الزركشي: (ت٨٩٤هـ/١٤٨٨م): أبو عبد الله محمد بن إبراهيم.
١٧ـ تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق: محمد ما ضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط٢، ١٩٦٦م.
السلاوى: (١٣١٥هـ/١٨٩٧م): أبو العباس أحمد بن خالد الناصري.
١٨ـ الاستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى، نشر في ثلاثة أجزاء، القاهرة، بدون تاريخ.
ابن صاحب الصلاة: (ت٥٩٤هـ/١١٩٨م): أبو مروان عبد الملك بن محمد ابن يحيى.

١٩ــ المن بالإمامة(تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين) تحقيق: د٠ عبد الهادى التازى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٨٧م٠

ابن عذارى: (ت في القرن ٧هـ/١٣م): أبو العباس أحمد بن محمد٠

٢٠ــ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج١، ج٢، تحقيق: ج٠س كولان، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٠م٠ ج٤ تحقيق د٠ إحسان عباس دار الثقافة، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م٠

٢١ــ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (قسم الموحدين): تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني، ومحمد بن تاويت وآخرين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٥م٠

أبو الفداء: (٧٣٢هـ/١٣٣١م): عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر٠

٢٢ــ تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ٠

القلقشندي: (ت٨٢١هـ/١٤١٨م): أبو العباس أحمد بن على بن أحمد بن عبد الله الفاهرى٠

٢٣ــ صبح الأعشى في صناعة الإنشاء،ج٥، تحقيق نبيل خالد الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٧م٠

ابن القوطية: (ت٣٦٧هـ/٩٧٦م): أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم بن عيسى بن مزاحم الأندلسي القرطبي٠

٢٤ــ تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق:إبراهيم الإنبارى، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٨٢م٠

مجهول: (ت في القرن ٦هـ/١٢م)٠

٢٥ــ الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق: د٠سعد زغلول عبدالحميد، دار الشئون الثقافية (آفاق عربية)، بغداد، ١٩٨٦م٠

مجهول: (مؤلف اندلسي من أهل القرن ٨هـ/١٤م)٠

٢٦ــ الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: د٠ سهيل زكار، والأستاذ عبد القادر زمامه، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط١، ١٩٧٩م٠

المراكشي: (ت٦٤٧هـ/١٢٤٩م): عبد الواحد بن على التميمي٠

٢٧ــ المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: د٠ محمد زينهم، دار الفرجاني للنشر، القاهرة، ١٩٩٤م٠

المقريزى: (٨٤٥هـ/١٤٤١م): تقي الدين أحمد بن على٠

٢٨ــ أتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق جمال الدين الشيال، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ١٩٦٧م٠

النويرى: (ت ٧٣٣هـ/١٣٢٢م): شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب٠

٢٩ــ نهاية الأرب في فنون الأدب، ط٢٤، تحقيق د٠حسين نصار، مراجعة د٠ عبد العزيز الأهوني، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٣م

ياقوت: (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م): شهاب الدين أبو عبد الله الحموى الرومي

٣٠ــ معجم البلدان،دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٥٦م، ١٩٥٧م ٠

اليعقوبي: (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م): أحمد بن يعقوب بن وهب بن واضح بن الكاتب٠

٣١ــ كتاب البلدان، دار صادر بيروت، (صورة مصورة عن طبعة ليدن) ١٨٩٣م٠

ثانياً: المراجع العربية والمعربة:

أحمد إبراهيم الشعراوى:

١ــ الأمويون أمراء الأندلس الأول: دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٦٩م٠

أحمد الحفناوى: (دكتور)٠

٢ــ صفحات من تاريخ المرابطين والموحدين، الجهاز المركزي للكتب الجامعية ١٩٧٩م٠

أحمد مختار العبادى:

٣ــ في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية الإسكندرية بدون تاريخ٠

أرشيبالدلويس:

٤ــ القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة: احمد محمد عيسى، مراجعة: محمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية، بدون تاريخ٠

جورج مارسيه:

٥ــ بلاد المغرب، وعلاقاتها بالمشرق في العصور الوسطى، ترجمة، محمد عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٩١م٠

حسن حسنى عبد الوهاب: (دكتور):

٦ــ خلاصة تاريخ تونس ، طبعة تونس ١٣٤٤هـ٠

حسن على حسن: (دكتور):

٧ــ الغزو الهلالي للمغرب، أسبابه ونتائجه، المجلة التاريخية عدد ٢٤ عام ١٩٧٧م٠

حسين مؤنس: (دكتور):

٨ــ معالم تاريخ المغرب والأندلس، مطابع المستقبل بالقاهرة والإسكندرية، ط١، ١٩٨٠م٠

٩ــ غارات النورمان على الأندلس، المجلة التاريخية ، مجلد٢، عدد١، ١٩٤٩م٠

درويش النخيلي: (دكتور):

١٠ــ السفن الإسلامية على حروف المعجم، دار المعارف، ط٢، ١٩٧٩م٠

دوزى:

١١ــ ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام، ترجمة: كامل كيلاني، القاهرة، ١٩٣٣م٠

رضوان محمد البارودي: (دكتور):

١٢ــ أضواء على المسيحية والمسيحيين في المغرب في العصر الإسلامي، دار الفكر العربي ، ١٩٩٠م٠

زامباور:

١٣ــ معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة زكي محمد حسن، وآخر، مطبعة جامعة فؤاد الأول، ج١، ١٩٥١م.

السيد عبد العزيز سالم، وأحمد مختار العبادى: (دكتوران):

١٤ــ تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر المتوسط، ج٢، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٣م٠

صابر محمد دياب (دكتور)

١٥ــ بلاد المغرب في القرن الأول الهجرى، دار العلم للنشر والتوزيع، الفيوم، ط٢، ٢٠٠٠م٠

١٦ــ دراسات في عالم البحر المتوسط في العصور الوسطى، المجلة التاريخية، عدد٢٤، ١٩٧٧م٠

عبد العزيز العروى: (دكتور)

١٧ــ تاريخ المغرب محاولة في التركيب، ترجمة: د٠دوقان قرقوط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٧٧م٠

عبد الهادي التازى: (دكتور):

عبد الله علام : (دكتور)

١٨ــ الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن على، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨م٠

١٩ــ الموجز في تاريخ العلاقات الدولية المغربية، المغرب، ط١، ١٩٨٤م٠

كلود كاهن:

٢٠ــ تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ترجمة: بدر الدين قاسم، دار الحقيقة، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م٠

محمد عبد الله عنان:

٢١ــ عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، (العصر الثالث، القسم الأول والثاني)٠ مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة، ط١، ١٩٦٤م٠

محمد العروسى الطوى٠

٢٢ــ سيرة القيروان، الدار العربية للكتاب ليبيا- تونس، ١٩٨١م٠

٢٣ــ السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي دار الغرب الإسلامي ، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م٠

محمد ولد دادة:

٢٤ــ مفهوم الملك في المغرب من انتصاف القرن الأول إلى انتصاف القرن السابع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط١، ١٩٧٧م٠

مراجع عقلية الغناى: (دكتور):

٢٥ــ علاقات الإمارة الصنهاجية بجيرانها، وأثرها في ليبيا، بنغازى بدون تاريخ٠

الهادي روجي إدريس:

٢٦ــ الدولة الصنهاجية (تاريخ إفريقية في عهد بني زيرى من القرن ١٠ إلى القرن ١٢م) ترجمة حمادى الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٢م٠

هويسى ميراند:

٢٧ــ على بن يوسف وأعماله في الأندلس، مجلة تطوان – المغرب ، عدد٣، ٤، عام ١٩٥٨م٠

يوسف أشياخ:

٢٨ــ تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ط٢، ١٩٩٦م٠